الكوارث الطبيعية ونتائجها في تاريخ اليمن الحديث

"القرن ١٠هـ/١٦م نموذجاً"

د/ طلال حمود عبده بن عبده المخلافي

أستاذ تاريخ الدولة العثمانية واليمن الحديث المساعد

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة تعز.

Abstract

The problem of this research lies in that Yemen underwent some natural disasters which result in negative consequences in different spheres during the 10th AH/16th AD century without receiving sufficient attention from historians and researchers. This is because they care only for studying the political and military conflicts, particularly concerning modern Yemen, in addition to observing the positive aspects of the then-ruling class. These writings were just similar to a register of wars and rulers. Still, however, there were a few historians who tackled these disasters and their consequences.

Thus, this research aims at shedding light on the natural disasters Yemen underwent during the 10th AH/16th AD century and their consequences. The significance of the research lies in the importance of the 10th AH/16th AD century as a critical period of Yemen history. It also stems from the subject matter it tackles- the historical demography, which spans over a half century in Europe. But it is still in its beginnings in our Islamic world, in spite of its importance to the historian, particularly in understanding the present and foreseeing the future, among other important aspects of research and investigation shared by history and geography, economy, medicine, psychology and social sciences. In addition to referring to the references and recourses concerned, the research adopts the historical descriptive and analytical approach in investigating the phenomenon under study. This enables us to restructure the topic into two axes: the first concerns the natural.

مجلة القلم

(علميّة – فصليّة – محكّمة)

الرقم الدولي

(ISSN 2410-5228)

تصدر عن جامعة القلم

للعلوم الإنسانية والتطبيقية

مدينة إب

الجمهورية اليمنية

www.alkalm.net

ملخص البحث:

ترتبط إشكالية هذا البحث بتعرض اليمن لمجموعة من الكوارث الطبيعية، وما ترتب عليها من نتائج سلبية في مجالات عدة خلال القرن ١٠هـ/١٦م، دون أن تلقى الاهتمام الكافي من قبل المؤرخين والباحثين، الذين وجهوا جل عنايتهم لتدوين أحداث الصراع السياسي والعسكري الطاغي على تاريخ اليمن الحديث خصوصاً، فضلاً عن رصد الجوانب الإيجابية والنواحي المشرقة في حياة الطبقة الحاكمة آنذاك، ما جعل من تلك الكتابات أشبه بسجل للحروب والحكام، باستثناء قلة من المؤرخين الذين تحدثوا عن تلك الكوارث وما ترتب عنها من نتائج، وفي هذا الصدد، فإن البحث يهدف إلى تسليط الضوء على الكوارث الطبيعية التي شهدتها اليمن خلال القرن١٠هـ/١٦م ، وتتبع أهم النتائج التي نجمت عن تلك الكوارث.

وتنبع أهمية هذا البحث من أهمية القرن ١٠هـ/١٦م كمرحلة مفصلية مهمة في تاريخ اليمن، ومن موضوع البحث نفسه المنبثق عن الديموغرافيا التاريخية، التي قطعت شوطاً بعيداً في أوربا منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمن، بينما لا تزال في طور البدايات ولم تنل ما تستحقه من البحث في عالمنا العربي الإسلامي، رغم فائدتها الكبيرة للمؤرخ؛ سيما في التعليل لكثير من المنعطفات والمحطات التاريخية التي تساعد في فهم الحاضر واستشراف آفاق المستقبل، فضلاً عن صلتها بواقع الحال الذي يشهد ما بين الفينة والأخرى عدداً من تلك الكوارث ويعاني من نتائجها السلبية، وفوق هذا وذاك انفتاح الموضوع على عدد من مجالات المعرفة البحثية، التي يتقاطع فيها علم التاريخ مع الجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والطب وعلم النفس.

ومن خلال تتبع الإشارات المصدرية الواردة في المصادر التاريخية المعاصرة لأحداث موضوع البحث والقريبة من زمنها، وعبر الاسترشاد بالمنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي، أمكن لنا إعادة بناء الموضوع وتركيبه في محورين أساسيين، **الأول** يتعلق بالكوارث الطبيعية التي شهدتها اليمن خلال القرن ١٠هـ/١٦م، **والثاني** يرتبط بالنتائج المترتبة عن تلك الكوارث.

تمهيد

يحتل القرن ١٠هـ/١٦م أهمية خاصة في تاريخ اليمن، ما دفع بعض المؤرخين إلى اعتباره بداية لتاريخها الحديث[١]؛ كونه يمثل قرن بداية الاضطراب السياسي والصراع العسكري في اليمن، بين عدد من القوى الداخلية وفي مقدمتها القوة الطاهرية والقوة الزيدية من جهة، وبينها والقوى الخارجية – التي استثمرت مناخ الصراع الداخلي والمتغيرات الدولية المرتبطة باكتشاف الطريق البحري الجديد إلى الهند لإخضاع اليمن لسيطرتها – ممثلة بالبرتغاليين فالمماليك والعثمانيين من جهةٍ ثانية، وبين هذه القوى الخارجية وما آل إليه

الصراع من تكريس سلطة قوة سياسية خارجية جديدة في اليمن خلال هذا القرن ممثلةً بالعثمانيين من جهةٍ ثالثة.

ولعل هذا ما برز جلياً في كتابات جل المؤرخين والإخباريين اليمنيين، الذين وجهوا اهتمامهم إلى تدوين أحداث الصراع العسكري والاضطراب السياسي في اليمن خلال القرن ١٠هـــ/١٦م؛ باعتبارها جوهر الماضي الحري بالاعتبار، خصوصاً ما يتعلق منها بالنواحي الإيجابية المشرقة، المقترنة بمراحل الازدهار السياسي والانتصارات العسكرية، ما جعل تلك الكتابات تبدو سجلاً للحكام والحروب، مقابل غض الطرف عن النواحي السلبية، سواء كانت مظاهر فشل وقصور سياسات أولئك الحكام، أو كانت أزمات وكوارث طبيعية وما ترتب عليها من نتائج، باستثناء إشارات ضئيلة مقتضبة ومتناثرة أوردها قلة من مؤرخي ذلك القرن في طيات كتبهم عن هذه النواحي.

فما هي أبرز الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها اليمن خلال القرن ١٠هـــ/١٦م؟ وما أهم النتائج التي ترتبت عنها؟

١- الكوارث الطبيعية في اليمن خلال القرن ١٠هـــ/١٦م:

لعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى تميز ثلة قليلة من مؤرخي القرن ١٠هـــ/١٦م عن غيرهم من مؤرخي ذلك القرن في اليمن بتطرقهم في مؤلفاتهم إلى الأحوال البيئية في اليمن، وفي مقدمتها الكوارث الطبيعية(أو النوازل) وما ترتب عنها من نتائج، والتي تعد جديدة في موضوعها مقارنة بزمن تدوين تلك المؤلفات[٢]، التي هي مصادر تاريخية معاصرة للأحداث ولصيقة الصلة بها، حيث وجدنا من خلال تتبعنا لصفحات تلك المصادر - التي سنشير إليها في ثنايا البحث وإحالاته المختلفة - إشارات مصدرية للكوارث الطبيعية التي شهدتها عدد من مدن ومناطق يمن القرن ١٠هـــ/١٦م.

فقد تعددت الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها اليمن آنذاك، وتوزعت بين سيول الأمطار، والجفاف والقحط والمجاعات، والأوبئة والأمراض، والزلازل، والرياح والعواصف، والبرد والبرق والغرق، والحرائق، وفي المقابل تنوعت نتائجها السلبية لتشمل المجالات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وسوف نقوم في هذا المحور بعملية رصد كورنولوجي (زمني) لهذه الكوارث؛ في محاولة لتتبعها ورسم صورة واضحة ومتصلة عنها، ومن ثم القيام في مرحلة لاحقة بتصنيف وإبراز النتائج التي ترتبت عن تلك الكوارث في محور مستقل؛ وذلك على النحو الآتي:

١-١ سيول الأمطار:

هناك مجموعة من الإشارات والنصوص المصدرية فيما يخص كارثة السيول التي تعرضت لها عدد من المدن والمناطق اليمنية خلال مدد زمنية متفاوتة من القرن ١٠هـــ/١٦م، وفي هذا المقام، تبين لنا تعرض مدينة زبيد[٣] لكارثة السيول بحدود تسع مرات خلال سنوات متفاوتة من العقدين الأول والثاني للقرن ١٠هـــ/١٦م؛

بسبب الاندفاعة القوية – غالباً – لمياه السيول المتجمعة في وادي زبيد[٤] صوب المدينة، وكذا غزارة الأمطار واستدامتها في المدينة بعض الأحيان.

فقد حدثت كارثتين في ذي الحجة ٩٠٥هـــ/يوليو ١٥٠٠م، الأولى في بداية الشهر وهي الأقوى، حيث تعرضت مدينة زبيد "لسيل عظيم لم يعهد مثله"، والثانية في نهاية الشهر من السنة المذكورة وهي أقل قوة من سابقتها، إذ تعرضت مدينة زبيد لسيل "عظيم"[٥]، وكارثتين أخريين خلال عام ٩١١هـــ/١٥٠٥-١٥٠٦م، الأولى في صفر٩١١هـــــ/يوليو١٥٠٥م حين "كثر المطر"[٦] في المدينة، والثانية في ذي القعدة ٩١١هـــ/أبريل ١٥٠٦م وكانت هي الأخطر على المدينة، عندما "دفع وادي زبيد بسيل عظيم لم يعهد مثله يقال إنه ارتفع في الهواء مقدار خمسة أبواع[٧]".

وبالمثل، فقد تعرضت مدينة زبيد لكارثتين في شهر ربيع الأول ٩١٤هـــ/ يوليو ١٥٠٨م، الأولى كثرت فيها "الأمطار بأسافل الوادي زبيد والسواحل"، والثانية وقعت فيها "مطرة عظيمة بزبيد واستدامت من وقت الضحى إلى بعد صلاة العشاء، ونفس الوادي زبيد نفساً عظيماً"[٨]، ثم تكررت هذه الكوارث بصورة قوية في السنوات اللاحقة بمعدل كارثة واحدة في السنة، وذلك بعد منتصف شهر ربيع الآخر سنة ٩١٧هـــ/يوليو١٥١١م، حين "حصل بمدينة زبيد مطر عظيم من وقت صلاة الظهر إلى العصر"[٩]، وكذا في أواخر رجب ٩١٨هـــ/ أكتوبر ١٥١٢م حيث استمر المطر "بزبيد عدة أيام ليلاً ونهاراً، وجاء الوادي زبيد بسيول عظيمة"[١٠]، وكان آخرها في شهر محرم ٩٢٠هـــ/مارس ١٥١٤م عندما "حصلت بزبيد مطرة عظيمة جداً كأفواه القرب"[١١].

وبجانب مدينة زبيد تعرضت مدن يمنية أخرى لكارثة السيول خلال سنوات متفرقة من القرن ١٠هـــ/١٦م، حيث حصل في مدن عدن[١٢] ولحج[١٣] وأبين[١٤] "مطر عظيم لم يعهد مثله"، استمر من منتصف الليل إلى عصر اليوم الموالي من أيام شهر رجب ٩١٦هـــ/ أكتوبر ١٥١٠م، إلا أنه "كان في لحج وأبين أعظم مما بعدن"[١٥].

وفي حضرموت[١٦] تعرضت أيضاً بعض المدن والمناطق لكارثة السيول؛ ففي شعبان ٩٣٩هـــ/مارس ١٥٣٣م وقع "غيث قوي" في الشحر[١٧] استمر قرابة يوم وليلة، وبسببه تعرضت دوعن[١٨] "لسيول لم يعهد مثلها وصلت إلى مواضع لم تعهد ولم تخطر ببال"[١٩]، وفي ذي الحجة ٩٦٤هـــ/نوفمبر ١٥٥٦م "حصل مطر عظيم من آخر الليل ثم ازداد شدة إلى الضحى" وعم عدد من مناطق حضرموت[٢٠]، وتشير المصادر التاريخية إلى تعرض حضرموت لكارثتين قويتين بسبب السيول الكبيرة التي تدفقت عليها من وادي حضرموت[٢١] الأولى[٢٢] كانت في شوال سنة ٩٧٠هـــ /مايو ١٥٦٣م حيث حصل "سيل عظيم هائل لم يسمع بمثله" ارتبط بذاكرة أهل حضرموت باسم "سيل الإكليل"، نسبةً إلى أحد الأنواء الفلكية، وصاروا يؤرخون به ودونه بعضهم في أبيات من الشعر[٢٣]، والثانية سنة ٩٩٨هـــ/١٥٩٠م، حين وقع بحضرموت "سيل مهيل"[٢٤] أو "سيل

هائل أعظم من سيل الإكليل"[٢٥] في نجم الثريا، وسمته العوام بـــ"طوفان الثريا" لشدة قوته، كما تم تدوينه بأبيات شعرية أيضاً[٢٦].

ويظهر أن المناطق الجبلية الشمالية من اليمن كانت أقل عرضة لكارثة السيول من المناطق الساحلية والسهلية خلال القرن ١٠هـــ/١٦م؛ إذ لم نجد في ثنايا المصادر التاريخية التي بين أيدينا سوى إشارة واحدة تتعلق بتعرض مدينة صنعاء[٢٧] في جمادي الأولى ٩٨٨هـــ/يونيو ١٥٨٠م لسيل قوي شوهد من رأس حصن ثلا[٢٨] ونجم عنه خسائر مادية كبيرة[٢٩].

وهكذا يتضح لنا مما سبق استخدام المؤرخين عدداً من المصطلحات للتعبير عن كارثة السيول بحسب قوتها وخطورتها[٣٠]، وكما يتضح أن مدينتي زبيد ومن بعدها حضرموت هما أكثر المدن اليمنية تعرضا لكوارث السيول ونتائجها السلبية – التي سترد معنا في محور مستقل لاحقا– وذلك بتأثير من واديهما اللذين تتجمع فيهما السيول لتندفع بقوة صوب المدينتين اللتين تأمنا جانب هذه الكارثة في أوقات الجفاف.

١-٢ الجفاف والقحط والمجاعات:

الجفاف كلمة مشتقة لغوياً من جف ومعناه القحط والجدب الذي يصيب الأرض بسبب انحباس المطر، وهو مفهوم يدل على سيادة مدة زمنية معينة طويلة أو قصيرة من الطقس الجاف، ما يسهم في بروز حاجة ماسة إلى الماء من قبل الإنسان والحيوان والنبات، واتساع القحط أو القحولة، وبالتالي غلاء الأسعار وانتشار المجاعات التي تتسبب في حصول الوفيات في أوساط قطاع من الناس والحيوانات[٣١]، وتشريد الجزء الآخر، وهذا كله يصب في خانة تهيئة الأرضية المناسبة لانتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة[٣٢]، ويبرز الترابط بين هذه الكوارث.

وفي هذا السياق، تشير المصادر التاريخية إلى تعرض بعض المدن والمناطق اليمنية للجفاف خلا سنوات متفرقة من القرن ١٠هـــ/١٦م؛ فقد تعرضت مدينة زبيد لفترتين متقاربتين من الجفاف، الأولى طويلة استمرت خلال فصل "الصيف" الذي "لم يحصل فيه مطر" سنة ٩١٤هـــ/١٥٠٨م، ما أدى إلى حدوث قحط شديد ألقى بضلاله السلبية على الناس والبهائم[٣٣]، والثانية قصيرة في شهر ربيع الثاني ٩١٦هـــ/يوليو ١٥١٠م حين "قلت الأمطار وارتفعت الأسعار"[٣٤].

كما شهدت حضرموت عموماً والشحر خصوصاً موجتين متباعدتين وطويلتين من الجفاف نجم عنهما حالة من القحط العام ومن ثم ارتفاع الأسعار وانتشار المجاعة والوفيات؛ الأولى[٣٥] استمرت خلال سنة ٩٤٧هـــ/١٥٤٠م، والثانية بعد حوالي عقدين من الزمن وتحديداً من شهر ربيع الثاني ٩٦٧هـــ/يناير١٥٦٠م وحتى نهاية السنة بحسب بعض المصادر[٣٦]، وخلال شهور رجب، شعبان، رمضان ٩٦٨هـــ/ مارس، أبريل، مايو ١٥٦١م بحسب مصادر أخرى[٣٧].

وبالإضافة إلى ذلك انفردت بعض المصادر التاريخية بالإشارة إلى أن المخلاف السليماني[٣٨] شهد حالة من "القحط والجدب" بسبب موجة الجفاف الطويلة التي استمرت قرابة أربع سنوات وتحديداً خلال سنوات ٩٧٣-٩٧٧هـ/١٥٦٥-١٥٦٩م، لكن دون الإشارة إلى النتائج التي ترتبت عن ذلك القحط والجدب[٣٩].

وبجانب ما سبق من إشارات مصدرية عن مدن ومناطق يمنية محددة كانت عرضةً لكارثة الجفاف وما ارتبط بها من نتائج سلبية، هناك إشارتان مصدريتان عامتان دون تخصيص منطقة أو مدينة بعينها، الأولى أوردها ابن القاسم ضمن حوادث سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م وتتعلق بارتفاع الأسعار بسبب "القحط" الذي "استمر إلى آخر هذه السنة" دون أن يحدد لنا بدايته[٤٠]، والثانية تفرد بذكرها ابن لطف في معرض حديثه عن أحداث سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م، مفادها أنه خلال هذه السنة "وقع القحط في اليمن جميعه، وضعف مطر صيفه وربيعه"[٤١].

وفي سياق متصل، توضح لنا بعض المصادر التاريخية أن القحط وما يترتب عنه من غلاء ومجاعة وأوبئة ووفيات مجتمعة حيناً ومنفردة حيناً آخر، لم يكن بسبب الجفاف دوماً وإنما ارتبط في بعض الأوقات بظهور الجراد في بعض المدن أو انتشاره في عموم اليمن؛ فقد أشار ابن الديبع إلى ظهور "جراد عظيم" في مدينة زبيد سيما جهات الوادي وما يليها استمر قرابة خمسة أشهر من جمادي الآخرة ٩١١هـ/نوفمبر ١٥٠٥م وحتى شوال ٩١١هـ/مارس ١٥٠٦م، نجم عنه أضرار بالغة في القطاع الزراعي وخاصةً "ثمر النخل"[٤٢]، كما أشار أيضاً إلى أن الجراد "كثر بمدينة زبيد" وأكل الزروع المتأخرة وأتلفها في جمادي الأولى ٩١٤هـ/سبتمبر ١٥٠٨م[٤٣]، أما ابن فيروز فقد أشار إلى انتشار الجراد في اليمن وخاصةً الأجزاء الشمالية منها لمدة عام كامل من رجب ٩٦١هـ/يونيو ١٥٥٤م إلى رجب ٩٦٢هـ/يونيو ١٥٥٥م، ما أدى إلى "شدة عظيمة وقحط عام"[٤٤] ومن ثم التأثير سلباً على الإنسان والحيوان في مجالات عدة، كما سيأتي معنا.

وهكذا يتضح أن هناك سببان أساسيان لكوارث القحط والغلاء والمجاعة وما ينجم عن ذلك من وفيات، الأول يتمثل في الجفاف وانحباس المطر لمدة زمنية متفاوتة طولاً وقصراً، والثاني يتمثل في الجراد التي تأتي على المحاصيل الزراعية والمساحات الخضراء، وهذان السببان – بما يترتب عنهما من كوارث تهدد معيشة الإنسان والحيوان وحياتهما على السواء – يشكلان وسطاً ملائماً لانتشار الأوبئة والأمراض.

١-٣ الأوبئة والأمراض:

من المعلوم أن الإخباريين وأصحاب التراجم وحتى الأطباء، كثيراً ما استعملوا تسمية "وباء" بمفهوم واسع يندرج ضمنه جميع الأوبئة والأمراض المعدية الفتاكة المؤدية إلى وقوع وفيات مرتفعة في أوساط الإنسان أو الحيوان[٤٥]، ومن هنا فقد كان الوباء عند أغلب المؤرخين اليمنيين الذين دونوا أحداث القرن ١٠هـ/١٦م يعد مرضاً متميزاً عن بقية الأمراض الأخرى، من حيث سرعة انتشاره وارتفاع معدل ضحاياه، ولذا نجدهم أحياناً يستخدموا مصطلح "مرض عظيم" و"مرض عام" بجانب كلمة "وباء" كمرادف لكلمة الطاعون[٤٦] الذي عرفته

عدد من المدن والمناطق اليمنية خلال مدد زمنية متفاوتة من القرن المذكور، وأحياناً أخرى يشيرون صراحة إلى الطاعون في مصادرهم.

وبالرغم من أن أغلب المؤرخين اليمنيين الذين أطلقوا كلمة الوباء على الطاعون تلميحاً أو تصريحاً كانوا يدركون أن كلمة وباء أشمل من الطاعون وأن هذا الأخير واحد من هذه الأوبئة، فإنهم في الوقت نفسه كانوا يعدونه الوباء الرئيس والأبرز في اليمن آنذاك.

وفي هذا الصدد، نستشف من بعض النصوص المصدرية أن مدينة زبيد قد تعرضت لوباء الطاعون مرتين، الأولى استمر فيها الوباء مدة طويلة تقدر بحوالي خمسة أشهر بين شهري رجب وذي القعدة سنة ٩٠٦هـ/يناير- مايو ١٥٠١م، وقد وصفه المؤرخون بأنه "مرض عظيم"، كما وصفوه "بالوباء"[٤٧] الذي كثر واشتد في آخر شعبان ورمضان، وتعدى انتشاره مدينة زبيد إلى واديها وإلى مدن حيس[٤٨] وموزع[٤٩] المجاورتين وغيرها، ما دفع الناس إلى "الدعاء في الصلاة والخُطَب" كي يرفع الله عنهم هذا الوباء، الذي كانت أغلب ضحاياه "في النساء والأطفال"[٥٠]، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في أنه طاعوناً حقيقياً كونه يقل مع العمر[٥١]، أما المرة الثانية فكانت لمدة قصيرة وتحديدا خلال شهر رجب ٩١٨هـ/سبتمبر١٥١٢م، حيث "كثر الموت بزبيد وعم الوباء"[٥٢].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن الطاعون لم يقتصر على زبيد فحسب، بل عرفته مدن يمنية أخرى، مثل حضرموت التي وقع بها بحسب الشلي سنة ٩١٧هـ/١٥١١م "الطاعون الكبير"، ثم تكرر سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٢م بصورة أشد دفعت المؤرخ المذكور إلى وصفه "بالفناء الكثير"[٥٣] في معرض اعتماده على باسنجلة الذي وصفه بـ"هورة كبيرة" أوضحها بافقيه بعد ذلك بلفظ "طاعون" كانت أغلب وفيـــــاته "نساء وصغار"[٥٤].

واستناداً إلى ابن لطف الله وابن القاسم – الذي استند على سلفه كثيراً- نجد أن صنعاء قد تعرضت لوباء الطاعون ست مرات خلال القرن ١٠هـ/١٦م، تم ذكر الطاعون صراحة في أربع منها، الأولى انفرد بها ابن القاسم حينما أشار إلى وقوع "الوباء في صنعاء ومخاليفها" سنة ٩٣٢هـــــ/١٩٢٥م دون تحديد مدة معينة[٥٥]، والثانية اشترك فيها ابن لطف الله وابن القاسم حيث اتسم فيها وباء الطاعون بطول مدته الزمنية التي استمرت حوالي خمسة أشهر من شعبان إلى ذي الحجة ٩٣٣هـ/مايو- سبتمبر١٥٢٧م، وبشموله لأغلب مناطق صنعاء مدينة وريفاً، وبنتائجه الكارثية في مستويات عدة[٥٦]، أما الثالثة فكانت خلال سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٢م دون تحديد مدة زمنية أو مناطق معينة، لكن يبدو أنه كان أقل مدةً وانتشاراً وأخف ضررا من سابقة، رغم اتسامه بالسرعة في الفتك بالأهالي أو الضحايا بحسب ابن لطف الله[٥٧]، وأما الرابعة فقد كانت خلال سنة ٩٥٢هـ/١٥٤٥م، حيث انحصر وباء الطاعون على حي واحد من أحياء صنعاء وهو حي الجراف[٥٨]، الذي عرف الوباء عبر بعض الأعراب الذين قدموا من المدينة المنورة كما ورد عند ابن لطف الله وابن القاسم[٥٩] ما يحيل على محدودية خطر الوباء وآثاره هذه المرة، وخلال سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م "وقع

طاعون في صنعاء" للمرة الخامسة بمرحلة زمنية مفتوحة عند ابن القاسم[٦٠]، بينما كانت السادسة إبان سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م، حين أعقب "القحط" الذي شهدته الأجزاء الشمالية من اليمن وفي مقدمتها صنعاء "وباء عم الآفاق" بتعبير ابن لطف الله الذي لم يحدد أفق زمني لذلك[٦١]، الأمر الذي يجسد العلاقة بين القحط وما يرتبط به من غلاء ومجاعة وبين وباء الطاعون[٦٢].

ويبدو أن مدينة تعز هي الأخرى قد شهدت وباء الطاعون بشكل طفيف ومحدود خلال القرن ١٠هـ/١٦م، وتحديداً خلال سنة ٩٤٦هـ/١٥٣٩م، حين حصلت بعض الوفيات التي مال بعض مؤرخي ذلك القرن إلى الربط بينها وبين الطاعون[٦٣].

وبالإضافة إلى وباء الطاعون الذي يعد الوباء الأبرز والرئيس الذي شهدته اليمن في القرن ١٠هـ/١٦م، فقد انتشرت بعض الأمراض في عدد من مدن ومناطق اليمن آنذاك مثل الشمندلة[٦٤] وحبوب النار الفارسي[٦٥]، لكنها لم تكن خطيرة من حيث العدوى أو الوفيات لدرجة ترقى إلى إدراجها ضمن الأوبئة.

١-٤ الزلازل:

من خلال تحليل وتصنيف المعطيات التاريخية المصدرية – التي توافرت لدينا– عن الكوارث الطبيعية ونتائجها في اليمن خلال القرن ١٠هـ/١٦م، تبين لنا أن الزلازل اقتصرت على بعض المناطق من شمال اليمن وبالتحديد المناطق الغربية الساحلية المتمحورة حول مدينة زبيد والمدن القريبة منها امتداداً إلى مدينة تعز، وذلك بخلاف المدن الواقعة في جنوب اليمن وشرقها والتي لم نجد عنها أية إشارة إلى الزلازل، ما يدفعنا إلى الميل بعدم تعرضها للزلازل خلال القرن المذكور[٦٦].

وفي هذا السياق، كانت مدينة زبيد ونواحيها أكثر مدن اليمن عرضةً لمجموعة من الزلازل، التي اتسمت بالتتابع حيناً والتقطع حيناً آخر وتحديداً بين عامي ٩٠٨-٩١٦هـ/١٥٠٢-١٥١٠م، إذ تعرضت في جمادي الأولى ٩٠٨هـ/نوفمبر١٥٠٢م لزلازل "تواترت ليلا ونهاراً"[٦٧]، ثم شهدت في صفر ٩١٠هـ/يوليو ١٥٠٤م "زلزلة عظيمة"[٦٨]، وبعد مرور حوالي نصف عقد من الزمن شهدت المدينة زلازل جديدة، إحداها خفيفة في محرم ٩١٥هـ/أبريل ١٥٠٩م[٦٩]، وثلاث زلازل متتابعة وصفت بالشديدة في شوال ٩١٦هـ/يناير ١٥١١م[٧٠].

وبجانب مدينة زبيد نجد أن مدينة موزع ونواحيها قد "زلزلت زلزالاً عظيماً ما سمع بمثله" لمدة شهر كامل، وتحديداً من أواخر شوال إلى أواخر ذي القعدة ٩١٦هـ/أوائل فبراير إلى أوائل مارس ١٥١١م، بحيث "استمرت تتردد ليلاً نهاراً زلازل صغار وزلازل كبار أضرت بأهل الجهة أضراراً عظيمة"[٧١].

كما أشار بعض المؤرخين إلى حصول "الراجفة الكبيرة، والزلزلة الشهيرة في ديار اليمن"، خلال سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٤م لكن دون تحديد أي مدينة أو منطقة سوى مدينة تعز[٧٢]، في معرض الإشارة إلى النتائج الناجمة عن ذلك سيما في المجال الاقتصادي والجهود التي بذلت من قبل الحكام للتخفيف من ذلك[٧٣]، بحسب ما سيأتي معنا لاحقاً.

١-٥ الرياح والعواصف:

تعد الرياح الشديدة والعواصف القوية من ضمن الكوارث الطبيعية التي رصدها ودونها المؤرخون في يمن القرن ١٠هـ/١٦م، وإن كانت الإشارات المصدرية عنها محدودة ومقتضبة وتتعلق بثلاث مدن يمنية دون سواها هي زبيد وعدن وحضرموت، فقد تعرضت مدينة زبيد لكارثة الرياح والعواصف ثلاث مرات خلال القرن المذكور، الأولى في صفر ٩١١هـ/يونيو ١٥٠٥م، والثانية في جمادي الآخرة/أكتوبر من السنة نفسها، والثالثة في محرم ٩٢٠هـ/مارس ١٥١٤م، الأمر الذي ألحق بالمدينة عدداً من الأضرار والنتائج السلبية[٧٤].

وقد شهدت مدينة عدن وبالتحديد بندرها[٧٥] خلال إحدى ليالي سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م "ريح عظيمة دامت حتى الصباح" أدت إلى أضرار في الميناء والسفن[٧٦]، كما شهدت حضرموت في إحدى ليالي ذي الحجة٩٦٤هـ /نوفمبر ١٥٥٧ "ريح مزعج قوي شديد" يسمى الحيمر[٧٧] استمر حتى الصباح ونجم عنه خسائر في المجال الاقتصادي في عدة مناطق من حضرموت[٧٨]، ناهيك عن تعرضها "لريح عاصفة مزعجة"[٧٩] في شوال ٩٧٠هـ/مايو ١٥٦٣م بالتزامن مع سيل الإكليل سابق الذكر.

١-٦ البَرْد والبَرْق والغرق:

يعتبر البرد والبرق والغرق من ضمن الكوارث الطبيعية التي أثرت بنتائجها سلباً- بصورة أقل من بقية الكوارث- على بعض المناطق اليمنية خلال سنوات متفرقة من القرن ١٠هـ/١٦م، ففيما يخص كارثة البرد أشارت المصادر إلى تعرض مدينتي زبيد وحضرموت فقط من بين المدن اليمنية خلال القرن المذكور؛ إذ حصل سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م بمدينة زبيد – إثر الأمطار والرياح الشديدة- "برد" نجم عنه حصول وفيات في أوساط الأهالي[٨٠]، وفي سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م"وقع بحضرموت شدة برد وحصل منه تعب كثير وأحرق الأشجار وأحرق الخريف وغير كل شيء"[٨١].

وفيما يخص كارثة البرق فقد كانت من أقل الكوارث الطبيعية التي تأثرت بها اليمن آنذاك؛ إذ لم نعثر في طيات المصادر – التي بين أيدينا- سوى على إشارتين مصدريتين تتعلقان بزبيد وما جاورها، الأولى تشير إلى حصول "برق عظيم" بزبيد خلال سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م[٨٢]، والثانية تبين وقوع "برق عظيم" صاحبه "رعد كأصوات المدافع بل أشد منها من غير مطر"، بيت الفقيه[٨٣] والزيدية[٨٤] خلال محرم ١٠٠٦هـ/أغسطس ١٥٩٧م[٨٥].

وبالنسبة لكارثة الغرق تشير المصادر التاريخية إلى خمس حالات غرق تتعلق بمراكب وسفن نجم عنها خسائر بشرية ومادية، حيث غرق مركب للتجار قرب باب المندب[٨٦] سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، كما غرقت سفينة لرجل مصري يعرف بالحلاف بالقرب من ساحل المخا[٨٧] في ذي الحجة ٩١٦هـ/مارس ١٥١١م[٨٨]، وبسبب السيل والرياح غرق سنبوق[٨٩] في رأس المكلا[٩٠] بعد وصوله من عدن، وطراد كان قادماً من زيلع[٩١] في شعبان ٩٣٩هـ/مارس ١٥٣٣م[٩٢]، بالإضافة إلى غرق المركب المسمى بالعيدروسي الخاص بوالد المؤرخ العيدروس أثناء توجهه من الشحر بحضرموت إلى الديو[٩٣] بالهند سنة ٩٨١هـ/١٥٧٣م[٩٤].

١-٧ الحـــــرائـــــق:

تشير المعطيات التاريخية التي بين أيدينا إلى تعرض كلاً من مدينتي زبيد وعدن لهذه الكارثة خلال القرن ١٠هـــ/١٦م، حيث تعرضت زبيد للاحتراق ثمان مرات بين سنتي ٩٠٥-٩١٨هـــ/١٥٠٠-١٥١٢م، نجم عنها في جلها خسائر اقتصادية في المنازل والأموال بينما الخسائر البشرية كانت طفيفة[٩٥].

وأما مدينة عدن فقد تعرضت لكارثة الحريق ثلاث مرات الأولى في صفر ٩٠٨هـــ/أغسطس ١٥٠٢م، والثانية في محرم ٩١٤هـــ/أبريل ١٥٠٨م[٩٦]، والثالثة في رجب ٩١٥هـــ/أكتوبر ١٥٠٩م، وقد نتج عن تلك الحرائق أضرار بشرية ومادية[٩٧] وهو ما سنتناوله في المحور الثاني المتعلق بنتائج الكوارث الطبيعية؛ بغية اكتمال ملامح الصورة العامة عن تلك الكوارث.

٢- نتائج الكوارث الطبيعية:

سوف نحاول من خلال هذا المحور - وبالعودة إلى مختلف معطيات النصوص المصدرية المتعلقة بالكوارث الطبيعية سالفة الذكر - القيام بعملية نقاش وتحليل وتصنيف وتركيب لتلك المعطيات، ومن ثم استخلاص النتائج التي نجمت عن تلك الكوارث على النحو الآتي:

٢-١ النتائج الديموغرافية:

بادئ ذي بدء ينبغي التأكيد هنا على أن هناك صعوبات جمة في تحديد رقم معين أو ثابت عن تعداد سكان اليمن خلال القرن ١٠هـــ/١٦م، سيما وأنها لم تعرف أول إحصاء شامل للسكان(تعداد سكاني) إلا في أواخر القرن ١٤هـــ/٢٠م[٩٨]، ومن ثم فإن الإشارات المصدرية التي بين أيدينا عن النتائج الديموغرافية للكوارث الطبيعية في يمن القرن ١٠هـــ/١٦م تتمحور حول عبارات عامة مقتضبة في غالب الأحيان، مع إيراد بعض التقديرات والأرقام أحياناً أخرى.

وفي هذا السياق، تتوزع العبارات العامة على مختلف الكوارث الطبيعية التي أوردناها، والتي تحيلنا على التريف الديموغرافي الذي شهدته اليمن خلال القرن ١٠هـــ/١٦م؛ ففي مدينة زبيد "سال" السيل الذي حدث في ذي الحجة ٩٠٥هـــ /يوليو١٥٠٠م "بخلق كثير"[٩٩]، كما "سال ببني آدم كثير" في ذي القعدة ٩١١هـــ/أبريل ١٩٠٦م[١٠٠]، وهو ما تكرر مع سيل الإكليل بحضرموت في شوال ٩٧٠هـــ / مايو ١٥٦٣م الذي "أهلك بشراً كثيراً"[١٠١]، و"أخذ جملة خلائق... رجال ونساء بحليهن يوم زينة عيد الفطر"[١٠٢].

وحينما عم اليمن قحط وغلاء ومجاعة بسبب الجراد الذي انتشر خلال سنة كاملة من رجب ٩٦١هـــ/يونيو ١٥٥٤م إلى رجب ٩٦٢هـــ/يونيو ١٥٥٦م مات "خلق كثير وجم غفير" خاصةً في صنعاء وما جاورها من المناطق الشمالية الجبلية[١٠٣]، وحتى أولئك الناجون الذين قدر لهم الفرار إلى مدينة إب[١٠٤] "أكلوا الشجر ومات أكثرهم جوعاً"[١٠٥]، وهو ذات الأمر الذي حصل في حضرموت عموماً والشحر خصوصاً خلال المدة من ربيع الثاني ٩٦٧هـــ/يناير ١٥٦٠م وحتى نهاية السنة، حين اشترك القحط والغلاء والمجاعة بالتسبب في موت "خلق كثير"[١٠٦].

وفيما يخص الأوبئة وعلى رأسها الطاعون فقد مات بسببه في مدينة زبيد – وما جاورها من حيس وموزع– بين شهري رجب وذي القعدة ٩٠٦هـ/يناير– مايو ١٥٠١م "خلائق لا يحصون"[١٠٧]، أما في رجب ٩١٨هـ/سبتمبر١٥١٢م فقد "كثر الموت، ومات بسببه من الأعيان وغيرهم خلائق لا يحصون"[١٠٨]، وفي حضرموت نجم عن الطاعون الذي شهدته سنة ٩١٧هـ/١٥١١م وفاة "خلق كثير وجم غفير"[١٠٩]، كما "مات فيها خلق كثير جداً" بسبب الطاعون الذي شهدته أيضاً سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٢[١١٠]، وفي صنعاء ومخاليفها تسبب وباء الطاعون الذي وقع سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م في موت "خلق كثير من العلماء والأعيان"[١١١]، كما أفنى فيها الطاعون سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م "جملة الألوف" ومات بسببه "من الأعيان خلق لا يحصى عددهم"[١١٢]، أو "خلائق لا يحصهم العدد ولا يحيط بقدرهم إلا الواحد الأحد" بتعبير مؤرخ آخر[١١٣]، واستمر الطاعون في صنعاء بحصد أرواح أفراد الطبقة العليا أو النخبة – بجانب العامة – حيث "ذهب أكثر أعيانها" سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م[١١٤]، وزادت حدة التريف الديموغرافي حينما اشترك وباء الطاعون مع الجفاف والقحط في المناطق الجبلية الشمالية من اليمن وخاصةً صنعاء سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م، ما أدى إلى موت "خلق كثير وجم غفير"[١١٥].

وعلى الصعيد ذاته، "مات جماعة" من الناس جراء البرد الشديد الذي شهدته مدينة زبيد سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م[١١٦]، وحينما غرق مركب تجاري بالقرب من باب المندب سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م"هلك جميع من فيه سوى أربعة"، وهذا ما تكرر حينما غرقت سفينة بالقرب من ساحل المخا سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م حيث "لم ينج من أهلها إلا النادر"[١١٧]، كما "مات جماعة" من ركاب السنبوق الذي غرق في المكلا في شعبان ٩٣٩هـ/مارس ١٥٣٣م[١١٨]، وهلك بغرق المركب المسمى العيدروسي المتوجه من الشحر إلى الديو "جماعة من الأشراف" سنة ٩٨١هـ/١٥٧٣م[١١٩]، زد على ذلك "احتراق بعض أولاد الهنود" في زبيد سنة ٩١٧هـ/١٥١١م[١٢٠].

وبالتوازي مع تلك العبارات العامة، وردت بعض التقديرات والأرقام المحددة عن الخسائر الديموغرافية لتلك الكوارث، فقد تسببت كارثة السيول في "هلاك خمسة نسوة وعبد وولد صغير" في عدن ولحج وأبين خلال شهر رجب ٩١٦هـ/أكتوبر ١٥١٠م[١٢١]، وكذا وفاة "خمس نسوة" بمدينة زبيد في ربيع الآخر ٩١٧هـ/يوليو ١٥١١م[١٢٢]، وجرف "خلق كثير يزيدون على المائة مات أكثرهم" في المدينة نفسها في محرم ٩٢٠هـ/مارس ١٥١٤م[١٢٣].

ونتج عن شدة القحط – وما تلاه من مجاعة– بسبب الجراد الذي استمر عام كامل من رجب ٩٦١هـ/يونيو ١٥٥٤م إلى رجب ٩٦٢هـ/يونيو ١٥٥٦م وفيات كبيرة في مدينة صنعاء "حتى قيل إنه كان يحمل في النعش الواحد من الأربعة رجال إلى الخمسة من كثرة الأموات" فضلاً عن وفات "نحو خمسة آلاف نفر" في مدينة إب من أهل المناطق الشمالية الجبلية الذين فروا إليها من شدة القحط والمجاعة في مناطقهم، بجانب وفات "نحو أربعة آلاف نفر" من أهل مدينة إب الأصليين[١٢٤].

كما حصد وباء الطاعون بمدينة زبيد بين رجب وذي القعدة ٩٠٦هـ/ يناير- مايو ١٥٠١م"في كل يوم فوق ستين نفساً غالبه في النساء والأطفال"[١٢٥]، وارتفع هذا الرقم في المدينة نفسها خلال شهر رجب ٩١٨هـ /سبتمبر ١٥١٢م ليصل " إلى قريب مائة نفس كل يوم"[١٢٦]، أما في حضرموت فقد حصد الطاعون سنة ٩١٧هـ/١٥١١م "أكثر من عشرة آلاف" من عامة الناس و"عشرين رجلاً من السادة والأشراف"[١٢٧]، كما تم تشييع "نحو أربعمائة جنازة" من شبام[١٢٨]، و"نحو ألف وخمسمائة جنازة "من بور[١٢٩] سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٢م[١٣٠]، وفي صنعاء كانت التكلفة البشرية التي تسبب بها الطاعون الذي استمر قرابة خمسة أشهر وتحديداً من شعبان إلى ذي الحجة ٩٣٣هـ/مايو- سبتمبر١٥٢٧م باهضه أيضاً، فقد ذكر ابن لطف الله وتبعه في ذلك ابن القاسم أنه كان "يخرج من صنعاء كل يوم فوق المائة، وفي آخر يوم من رمضان خرج من صنعاء سبعة عشر مائة جنازة، ومثلها يوم العيد، ومثلها ثاني العيد، ولم يبق في المدينة إلا اليسير والترر الحقير"[١٣١]، وليس ذلك فحسب بل وصل الأمر بحسب ابن القاسم إلى أن "ترك بعض الأموات بلا دفن لعدم وجود الحفارين"[١٣٢]، ما يحيلنا على درجة قتامة المشهد الديموغرافي في اليمن آنذاك.

وبالإضافة إلى ذلك أدى الحريق إلى وفاة "نحو ثلاثين نفساً" بمدينة عدن في محرم ٩١٤هـ/أبريل ١٥٠٨م[١٣٣].

٢-٢ النتائج الاقتصادية:

تعرضت الأوضاع الاقتصادية في اليمن إلى نتائج سلبية جراء الكوارث الطبيعية التي شهدتها خلال القرن ١٠هـ/١٦م، ومن خلال النصوص المصدرية التي بين أيدينا، سوف نقوم هنا برصد وتصنيف أبرز تلك النتائج التي تعرضت لها عدداً من المدن والمناطق اليمنية آنذاك، مع التنبيه على قلة وندرة الأرقام المحددة لتلك النتائج مقارنةً الإشارات العامة عنها، وذلك على النحو الآتي:

أ- تدهورت الحياة الحرفية والتجارية، وفقد عدد كبير من الأهالي مصادر دخلهم وفرص عملهم التي تدر عليهم الرزق، وانهارت الطبقة العاملة، ومن ثم تعطلت الحياة الاقتصادية للناس، فقد "عدمت المكاسب" في زبيد سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م نتيجة الجفاف والقحط والغلاء،[١٣٤] وقلت السلع الغذائية التجارية المعروضة في الأسواق أحياناً، حتى اقتصرت على "السمك" فقط كما حصل في الشحر سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م، وانعدمت بالكلية أحياناً أخرى كما حصل قبل ذلك في شبام حضرموت سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م.[١٣٥]، كما "تعطلت الدور" وتم إخلاء "القصور" وإغلاق "الأبواب" في سائر أرجاء مدينة صنعاء بسبب الطاعون الذي شهدته سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م[١٣٦]، وانعدم "وجود الحفارين" الذين يحفرون القبور لدفن الموتى ومن ثم عدم مواراة جثامينهم الثرى جراء ذلك كما رأينا سابقاً[١٣٧].

ب- القضاء على جزء مهم من الدواب التي كانت تتوزع بين الأغنام والأبقار والإبل والحمير، وما يمثله ذلك من فقدان مصدر أساس للغذاء ووسائل النقل، وبالتالي انعكاس ذلك سلباً على الحياة المعيشية والرعوية والزراعية؛ نتيجة كوارث السيول والحرائق والقحط والأوبئة على وجه الخصوص؛ ففي زبيد سال واديها في

ذي الحجة ٩٠٥هـــ/يوليو١٥٠٠م "بخلق ودواب"، وكانت "الغنم تحول بعضها في بعض وتتساقط ميتة، حتى سقط منها ستة رؤوس"[١٣٨]، واشتد الأمر في محرم ٩٢٠هـــ/ مارس ١٥١٤م حين سال وادي زبيد "بدواب كثيرة تنيف على ألف دابة من الإبل والبقر والغنم والحمير مات أكثرها"[١٣٩]، وتسبب حريق إحدى قرى مدينة زبيد في ذي القعدة ٩١٢هـــ/مارس ١٥٠٧م في "تلف دواب كثيرة"[١٤٠]، كما "ماتت أكثر البهائم جوعاً" في المدينة نفسها في صفر ٩١٤هـــ/يونيو ١٥٠٨م بسبب اشتراك الجفاف والقحط والغلاء والمجاعة[١٤١]. أما في عدن ولحج وأبين فقد "سال السيل بالإبل والبقر والغنم" في رجب ٩١٦هـــ/أكتوبر ١٥١٠م[١٤٢]، وفي صنعاء "لم تجد البهائم ما تأكل" نتيجة القحط الذي تسبب به الجراد طوال المدة من رجب ٩٦١- رجب ٩٦٢هـــ/يونيو١٥٥٤- يونيو١٥٥٥م[١٤٣]، وفي حضرموت هلكت "النشرة" أي الحيوانات الداجنة؛ بسبب المجاعة الناتجة عن شدة القحط والغلاء في شهور رجب وشعبان ورمضان ٩٦٨/مارس أبريل مايو ١٥٦١م[١٤٤].

ج- جرف وتشقق مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية بما عليها وتلف كميات من محاصيل الحبوب والبذور والأشجار المثمرة ، بسبب اشتراك السيول والرياح والزلازل والبرد والقحط والجراد، ففي مدينة زبيد تسبب السيل الذي حصل في صفر ٩١١هـــ/يوليو ١٩٠٥م في "إخراج جملة من الأراضي وسال بزروع وطعام كثير"[١٤٥] كما "أتلف أكثر ثمر النخل"[١٤٦]، وتكرر ذلك في المدينة نفسها في ربيع الأول ٩١٤هـــ/ يوليو ١٥٠٨م حين "تلفت ثمار النخل تلفاً عظيما ما سمع بمثله، وحصل فيها الخسران، وزهد أهل الثمار فيها لمن يأخذها"[١٤٧]، وكذا في رجب ٩١٨هـــ/أكتوبر ١٥١٢م بسبب السيول التي شهدتها المدينة ونتج عنها "تلف ثمرة النخل تلافاً ما سمع بمثله و لم ينتفع منها بشيء، وأخربت الأراضي وتلفت الزروع"[١٤٨]، وبعد عامين فقط خرب سيل محرم ٩٢٠هـــ/مارس ١٥١٤م "أكثر أرض زبيد"[١٤٩]، بينما أدت الرياح والعواصف الشديدة التي شهدتها زبيد إلى "اقتلاع الأشجار وتكسيرها" في صفر٩١١هـــ/يونيو١٥٠٥م، وإلى "نقص عظيم في الزروع والغلات" في جمادي الآخرة/أكتوبر من السنة نفسها[١٥٠]، كما أن الجراد الذي استمر في مدينة زبيد - وبالأخص واديها الممتلئ بالنخيل- قرابة خمسة أشهر من جمادي الآخرة ٩١١هـــ/نوفمبر ١٥٠٥م وحتى شوال ٩١١هـــ/مارس ١٥٠٦م "اتلف من الزرع كثيراً، وأتلف أكثر ثمر النخل، و لم يسلم منه إلا القليل"[١٥١]، وأكل أيضاً "الزروع المتأخرة وأتلفها" حين استمر بالمدينة مجدداً في جمادي الأولى ٩١٤هـــ/سبتمبر ١٥٠٨م[١٥٢].

وخلال المدة من رجب ٩٦١هـــ/يونيو ١٥٥٤م إلى رجب ٩٦٢هـــ/يونيو ١٥٥٥م أكل الجراد "الثمار والأشجار حتى ييست الأرض وعدم العشب" في المناطق الشمالية الجبلية سيما صنعاء[١٥٣]، وفي لحج وأبين سال السيل "بأكثر الزرع" خلال رجب ٩١٦هـــ/أكتوبر ١٥١٠م[١٥٤]، كما "تشققت الأرض المعدة للزراعة" في مدينة موزع جراء الزلازل في السنة نفسها[١٥٥]، أما في دوعن بحضرموت فقد تلف "ما يزيد على أربعة آلاف نخلة" جراء سيل شعبان ٩٣٩هـــ/مارس ١٥٣٣م[١٥٦]، وأحرق الريح في ذي الحجة٩٦٤هـــ /نوفمبر ١٥٥٧"من النخيل والنارجيل شيء لا يحصى ولا يوصف"[١٥٧]، كما أحرق البرد سنة

٩٦٧هـــ/١٥٥٩"جميع الأشجار، النخل، والأراك، والعلوب وغيرها"[١٥٨]، وفي شوال ٩٧٠هـــ/مايو ١٥٦٣م نجد أن سيل الإكليل " أخرب كثيراً من النخيل"[١٥٩] سيما بالشحر والمسيلة[١٦٠]، وأخذ "العلوب" أو شجر السدر في الريدة[١٦١] أيضاً[١٦٢].

د- اشتداد الغلاء وارتفاع أسعار السلع الغذائية الأساسية وانعدام جزء كبير منها، ومن ثم عدم مقدرة الأهالي على شرائها وتهيئة الأرضية المناسبة لانتشار المجاعة؛ إذ ارتفعت الأسعار بمدينة زبيد وأعمالها سنة ٩١٤هـــ/١٥٠٨م نتيجة الجفاف والقحط، فبلغ طعام الذُّرَة الثمن بعشرة دراهم[١٦٣]، والدخن بأحد عشر درهماً، والسمسم بستة دنانير[١٦٤]، والسمن خمسة أواق[١٦٥] وأقل بدرهم صغير[١٦٦]، وبعد عامين وتحديداً في ربيع الثاني ٩١٦هـــ/يوليو ١٥١٠م ارتفعت الأسعار من جديد في مدينة زبيد بسبب قلة الأمطار حتى "بلغ ثمن الطعام عشرة دراهم"[١٦٧]، وفي سنة ٩٤٧هـــ/١٥٤٠م أدى الجفاف والقحط إلى غلاء الأسعار بالشحر "غلاءً عظيماً لم يعهد مثله"[١٦٨]، وكذلك في حضرموت حتى بلغ الطعام الذرة بشبام مصري[١٦٩] ببقشتين[١٧٠] والتمر رطل[١٧١] وثلث ببقشة[١٧٢] ووصل الأمر لدرجة انعدام السلع الغذائية حيث لم "يوجد طعام ولا تمر وهذا لم يعهد منذ ظهرت القهوة"[١٧٣]، كما اشتد الغلاء وارتفعت الأسعار بصورة غير مسبوقة نتيجة القحط والجدب خلال عامي ٩٦٧هـــ/١٥٦٠ و ٩٦٨هـــ/١٥٦١م ما تسبب بمجاعة كبيرة أدت إلى وفات الناس ومواشيهم "في الطرقات"[١٧٤] في كلٍ من الشحر وحضرموت، وفي المناطق الجبلية الشمالية من اليمن عموماً وصنعاء خصوصاً تسبب القحط سنة ٩٦٢هـــ/١٥٥٤م بارتفاع "أسعار الطعام حتى بلغ الزبدي[١٧٥] الصنعاني من البر أربعين أوقية، والأوقية حرفان[١٧٦] من دراهم الوقت، وبلغ الزبدي الذرة بثلاثين أوقية"[١٧٧].

هـــ- تهدم وتلف وتشقق عدد كبير من المنازل وفقدان ما فيها من أثاث وأموال خاصةً بيوت التجار، وما ترتب على ذلك من الحاجة للأموال الطائلة لإعادة إعمارها من جديد من قبل الأهالي أو الدولة، فضلاً عن تشقق وخراب عدد من المساجد والمدارس، وذلك بسبب السيول والحرائق والزلازل والرياح.

وفي هذا المقام، احتلت مدينة زبيد صدارة المدن اليمنية من حيث النتائج السلبية لتلك الكوارث خاصةً السيول والحرائق، ففيما يخص كارثة السيول أدى سيل ذي الحجة ٩٠٥هـــ/يوليو ١٥٠٠ إلى "شيء من هدم البيوت"[١٧٨]، وفي ذي القعدة ٩١١هـــ/أبريل ١٥٠٦م سال وادي زبيد "ببيوت كثيرة"[١٧٩]، بينما "تلفت كثير من البيوت" في سيل ربيع الأول ٩١٤هـــ/يوليو ١٥٠٨م[١٨٠] كما "خربت بيوت مدينة زبيد" إثر سيل رجب ٩١٨هـــ/أكتوبر ١٥١٢[١٨١]، أما الرياح الشديدة فقد "هدمت بعض البيوت بزبيد" في صفر٩١١هـــ/ يوليو١٩٠٥[١٨٢]، وتسببت الحرائق التي تعرضت لها مدينة زبيد إلى أضرار كبيرة ببيوتها؛ حيث "تلفت بيوت عظيمة" في حريق رمضان ٩٠٥هـــ/أبريل ١٥٠٠م[١٨٣]، و"تلف من البيوت ما لا يحصى" في حريق محرم ٩٠٧هـــ/يوليو ١٥٠١م[١٨٤]، كما احترقت قرية الزريبة - بأعلى وادي زبيد- ولم يبق منها "سوى نحو عشرين بيتاً" في صفر ٩١٤هـــ/يونيو ١٥٠٨م [١٨٥]، و"تلف مالا يحصى من البيوت" في ربيع الأول ٩١٨هـــ/مايو ١٥١٢م بسبب الحريق الذي تعرضت له حافة الهنود وقرية الزريبة أيضاً[١٨٦]، فضلاً عن ذلك

فقد أدى "برق عظيم" تعرضت له زبيد خلال سنة ٩٠٥هـــ/١٥٠٠م إلى تضرر أحد مساجدها وهو مسجد ابن عبد الفتاح حيث " انشق ركنه الغربي الأيمن وسقطت دعامته"[١٨٧]،

وتأتي عدن في المرتبة الثانية من حيث أضرار البيوت الناجمة عن الحرائق والسيول، إذ تلف في حريق صفر ٩٠٨هـــ/أغسطس ١٥٠٢م "كثير من بيوت التجار وجانب من حافة اليهود وحافة الحبوش ويقال إنه بلغ عدد البيوت المحترقة تسعمائة بيت"[١٨٨]، وفي حريق محرم ٩١٤هـــ/أبريل ١٥٠٨مـــ "تلف من البيوت مالا يحصى"[١٨٩]، كما "سقطت بيوت كثيرة" في عدن ولحج جراء سيل رجب ٩١٦هـــ/أكتوبر ١٥١٠م[١٩٠].

امتدت التأثيرات السلبية للسيول إلى كبرى المدن اليمنية حضرموت وصنعاء؛ ففي حضرموت أخرب سيل سنة ٩٦٤هـــ/١٥٥٦م "جملة من البيوت" في مناطق عدة[١٩١]، وهو الأمر الذي تكر سنة ٩٧٠هـــ/١٥٦٣م في سيل الإكليل الذي "خرب بيوت كثيرة"، كما "خرب المساجد" أيضاً ولا سيما في الشحر ونواحيها[١٩٢]، وفي صنعاء أخذ السيل "عدة من البيوت" في جمادي الأولى ٩٨٨هـــ/يونيو ١٥٨٠م[١٩٣].

كما طالت أضرار الزلازل مدينتي موزع وتعز، حيث "تصدعت البيوت الضعيفة البناء، وما سلم بيت من تشعب" في موزع نتيجة الزلازل سنة ٩١٦هـــ/١٥١٠م[١٩٤]، وأما مدينة تعز فقد تسبب الزلزال الذي ضربها- ضمن اليمن عموماً- خلال سنة ١٠١٣هـــ/١٦٠٤م في خراب وتهدم عدد من المساجد والمدارس والقباب والأربطة[١٩٥] والتكايا[١٩٦] خلال العهد العثماني الأول[١٩٧] ما دفع البكلربك[١٩٨] أبو محمد الوزير سنان[١٩٩] باشا[٢٠٠] إلى توجيه الكشاف[٢٠١] بحصر تلك الأضرار وإرسال الأموال اللازمة لإعادة إعمار ما خربه الزلزال، وفي مقدمة ذلك قبة الشيخ عبد الهادي السودي[٢٠٢] التي أخربت إلى الأساس وأعيد بنائها بأحسن مما كانت[٢٠٣].

و- فقدان وتلف أموال طائلة وسلع تجارية كثيرة؛ بسبب الحرائق أو غرق بعض السفن، فقد تعرضت زبيد لخسائر كبيرة جراء الحرائق[٢٠٤]، حيث "تلفت أموال كثيرة" في رمضان ٩٠٥هـــ/أبريل ١٥٠٠م، واحترق جانب من سوق المسوادة "وتلف فيه من الأموال مالا يحصى، في محرم ٩٠٧هـــ/ كما تلفت "أموال جليلة" حينما احترقت قرية الزريبة المرة الأولى في ذي القعدة ٩١٢هـــ/أبريل ١٥٠٧م، وفي المرة الثانية "تلف من الأموال مالا يحصى وتضعضعت أحوال أهلها" في صفر ٩١٤هـــ/يونيو ١٥٠٨م، وفي شعبان ٩١٧هـــ/أكتوبر ١٥١١م احترقت حافة الهنود، وأتى الحريق على جميعها" وتلفت أموال جليلة" في المرة الأولى، وفي الثانية "تلف من الأموال مالا يحصى" في ربيع الأول ٩١٨هـــ/مايو ١٥١٢م، وفي التاريخ نفسه احترقت حافة المسراح "وتلفت أموال جليلة".

وبعد زبيد حلت مدينة عدن ثانياً في حجم الخسائر من الأموال والممتلكات جراء الحرائق؛ ففي صفر ٩٠٨هـــ/أغسطس ١٥٠٢م " احترق جانب من السوق الكبير"، بما فيه من محلات تجارية وبضائع على الأرجح، وتلفت جراء ذلك الحريق "أموال جليلة" في المدرسة السفيانية[٢٠٥]، وهو الأمر الذي تكرر في محرم ٩١٤هـــ/أبريل ١٥٠٨م حيث "تلف من الأموال مالا يحصى"[٢٠٦].

وتوزعت الخسائر جراء كارثة الغرق على عدد من المناطق اليمنية الساحلية؛ فبالقرب من باب المندب غرق مركب كبير "فيه أموال كثيرة" سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، وبالقرب من ساحل المخا غرقت سفينة لتاجر مصري سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م "كان له فيها مال عظيم من لبان وغيره"[٢٠٧]، وفي المكلا فقدت كميات "الورس والدقيق" التي كانت محملة في السنبوق إثر غرقه هناك في شعبان ٩٣٣هـ/مارس ١٥٣٣م[٢٠٨].

٢-٣ النتائج الاجتماعية:

نستشف من النصوص المصدرية التي اعتمدنا عليها في رصد الكوارث الطبيعية المختلفة التي حلت باليمن خلال القرن ١٠هـ/١٦م، أن تلك الكوارث مجتمعة ألقت بضلالها سلباً على الحياة الاجتماعية للأهالي، حيث نجد تضافر السيول والأوبئة والقحط والغلاء والمجاعات والزلازل والحرائق، في انعدام الأمن الاجتماعي واضطراب أحوال الأهالي والأسر، وتبدل أنماط حياتهم من الاستقرار والأمن إلى التشرد والخوف ومن الترف والصحة إلى الفقر والمرض، سيما مع تهدم المنازل، وتلف الممتلكات، وفقدان الأموال، وتشرد الأسر بحثاً عن مأوى[٢٠٩]، أو بيئة آمنة خالية من الأوبئة والأمراض، أو مجالات ترابية تتوافر على مقومات العيش، بعيداً عن مكان إقامتهم الأصلي الذي أصابه الجفاف والقحط[٢١٠].

ومما لا شك فيه أن التريف الديموغرافي الذي نجم عن تلك الكوارث قد شمل سائر فئات المجتمع العليا والمتوسطة والدنيا، لكنه بلا شك كان أشد وطأة في الطبقات الدنيا التي تتمتع بكثافة عددية، وخصاص في الإمكانات المادية ووسائل الوقاية من الأوبئة، مقارنة بالطبقات العليا الميسورة، فضلاً عن فئة الشباب والأطفال والنساء التي كانت عرضةً للطواعين[٢١١]، ما يوضح حجم الخطر الحقيقي لتلك الكوارث على المجتمع اليمني خلال القرن ١٠هـ/١٦م.

فعلى سبيل المثال، تسببت كارثة الحريق الذي تعرضت له قرية الزريبة في زبيد إبان صفر ٩١٤هـ/يونيو ١٥٠٨م إلى تدهور المستوى المعيشي للأهالي وتحول مستواهم إلى حالة الفقر؛ جراء تلف أموالهم وممتلكاتهم وبيوتهم نتيجةً لذلك الحريق، ما دفع أحد المؤرخين المعاصرين للحادثة - زمانا ومكانا - للتعليق على الحالة الاجتماعية لأهالي تلك القرية بقولة "وتضعضعت أحوال أهلها جداً"[٢١٢].

كما أدى الطاعون الذي ضرب صنعاء سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م إلى تهجير وتشريد أهالي عدد من مناطق صنعاء، خاصة مناطق كنن[٢١٣] والكميم[٢١٤] إلى خارج صنعاء، وتعدى الأمر إلى الطبقة السياسية الحاكمة - للمناطق الشمالية من اليمن- ورأسها آنذاك ممثلة بالإمام شرف الدين[٢١٥] الذي غادر صنعاء و لم يعد إليها إلا في السنة المقبلة؛ بعد انتهاء الوباء وقام بزيارة مقبرة باب اليمن[٢١٦] وشاهد حجم ضحايا الطاعون الذين تم دفنهم فيها[٢١٧]، وقد تكرر الأمر نفسه خلال سنة ٩٥٢هـ/١٥٤٥م حينما تشرد أهالي الجراف وفي مقدمتهم الإمام شرف الدين الذي غادرها هروباً من وباء الطاعون - الذي حمله إليها بعض الوافدين من المدينة المنورة - متوجهاً صوب منطقة فدة[٢١٨] بدعوة من ابنه المطهر[٢١٩] الذي كان يحكم تلك المنطقة في عهد أبيه[٢٢٠].

وفي السياق ذاته، تأثر مجتمع المناطق الشمالية الجبلية من اليمن – بما فيها صنعاء– سلباً بالقحط الشديد الذي تسبب به الجراد لمدة عام كامل، من رجب ٩٦١هـ/يونيو ١٥٥٤م إلى رجب ٩٦٢هـ/يونيو ١٥٥٥م، وما ارتبط به من غلاء ومجاعة ووباء، وبالتالي تشريد الناس ممن تبقوا على قيد الحياة من بيوتهم ومناطقهم، وتوجههم صوب مناطق تتمتع بالأمن الاجتماعي وتوافر سبل العيش[٢٢١].

وفي حضرموت والشحر والمشقاص[٢٢٢] تعرض الأهالي لهزة اجتماعية كبيرة جراء سيل الإكليل الشهير سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٣م الذي هدم وأخرب كثيراً من البيوت ومن ثم "وقع الخلق في حالة يعجز وصفها، حتى أن الناس خرجوا من بيوتهم وعرشوا لأنفسهم وأولادهم في الطرقات أمام بيوتهم وذلك شيء لم يعهد ولم يسمع بمثله"[٢٢٣].

٢–٤ النتائج النفسية:

ما من شك في أن الكوارث الطبيعية التي تحدثنا عنها ولا سيما الزلازل والسيول والقحط الناجم عن الجفاف والجراد وكذا الأمراض والرياح والبرق، قد تركت لدى الأهالي في يمن القرن ١٠هـ/١٦م آثاراً نفسية متعددة، تتمثل في الخوف والهلع والاضطراب النفسي، فضلاً عن الضيق والضنك من واقع الحال المعيش، وهو ما اهتم بوصفه وتدوينه المؤرخون المعاصرون لتلك الكوارث والقريبين من عهدها، وإن بصورة مقتضبة ومركزة.

وفي هذا الصدد، "أشفق الناس" في زبيد من الزلازل المستمرة التي تعرضت لها المدينة في جمادي الأولى ٩٠٨هـ/نوفمبر ١٥٠٢م[٢٢٤]، و"خرج أهل البيوت إلى الساحل ولم يرجعوا إلى منازلهم إلا صباحاً" جراء الزلزال الذي تعرضت له مدينة زيلع في صفر ٩١٠هـ/يوليو ١٥٠٤م[٢٢٥].

وبالنسبة للسيول فقد "أشفق الناس وخافوا" من شدتها في عدن لتسببها في تفجر الصهاريج[٢٢٦] بعد امتلائها بالمياه في رجب ٩١٦هـ/ أكتوبر ١٥١٠م[٢٢٧]، وخرج الناس إلى الطرقات "خوفاً من انهدام البيوت عليهم وعلى حريمهم وأطفالهم في حضرموت والشحر والمشقاص بسبب سيل الإكليل سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٣م، ووصل الأمر بالناس هناك إلى تسلق "خشب النخل" بحثا عن النجاة من شدة ذلك السيل والحالة النفسية التي أصابت الأهالي، والتي وصفها أحد المؤرخين بأنها أمر "مهول ذهبت منه الألباب والعقول"[٢٢٨].

وبالإضافة إلى ذلك فقد "ضاقت الأحوال" في زبيد نتيجة القحط الناجم عن الجفاف وما ارتبط به من غلاء في صفر ٩١٤هـ/ يونيو ١٥٠٨م [٢٢٩]، كما "خاف الناس على أنفسهم" من الجراد في المناطق الشمالية الجبلية من اليمن وفي مقدمتها صنعاء "لأنها دخلت بيوتهم ومساجدهم"، ولتسببها في حدوث "شدة عظيمة وقحط عام" خلال المدة من رجب ٩٦١هـ/يونيو ١٥٥٤م إلى رجب ٩٦٢هـ/يونيو ١٥٥٥م [٢٣٠].

وفي زبيد أيضاً "حرجت الصدور وضاقت النفوس" من انتشار مرض الحبوب المعروفة بالنار الفارسي سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م[٢٣١]، كما "أشفق الناس" فيها من الرياح الشديدة التي "كادت تقلع البيوت" في محرم

٩٢٠هـــ/مارس ١٥١٤م[٢٣٢]، وشهدت بيت الفقيه والزيدية "برق عظيم"صاحبه "رعد كأصوات المدافع بل أشد منها من غير مطر" في محرم ١٠٠٦هـــ/أغسطس ١٥٩٧م[٢٣٣]، وهو ما أدى – بلا شك – إلى حدوث الخوف والهلع لدى الأهالي جراء تلك الأصوات القوية.

الخـــــاتمـــــــــة:

استناداً إلى ما سبق ذكره في محاور البحث وصفحاته المتعددة، تبين لنا أن اليمن في تاريخها الحديث وتحديداً خلال القرن ١٠هـــ/١٦م، قد تعرضت لعدد من الكوارث الطبيعية- أو النوازل والحوادث- التي توزعت بين سيول الأمطار، والجفاف والقحط والمجاعات، والأوبئة والأمراض، والزلازل، والرياح والعواصف، والبرد والبرق والغرق، والحرائق، كما تبين أن تلك الكوارث – مجتمعة أحياناً ومنفردة أحياناً أخرى- قد أدت إلى جملة من النتائج التي أثرت سلباً على اليمن واليمنيين في عدد من المدن والمناطق آنذاك، سيما زبيد وعدن وحضرموت وصنعاء وتعز وموزع، في المجالات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، كتاريخ منسي أو مسكوت عنه، أو بعبارة أخرى لا مفكر فيه – غالباً – من قبل أغلب مؤرخي ذلك القرن، مقارنةً باهتمامهم المنصب على المجالات السياسية والعسكرية المرتبطة بالسلطات الرسمية الحاكمة تحديداً، والتي اتضح غياب دورها في مواجهة تلك الكوارث والتخفيف من نتائجها وآثارها على اليمنيين حينها – باستثناء دور محدود من قبل العثمانيين في تعز سنة ١٠١٣هـــ/١٦٠٤م – كما اتضح انعكاس ذلك الغياب سلباً على الدور الأهلي والمجتمعي، الذي لم نجد عنه أية إشارة مصدرية لدى المؤرخين، ما يحيلنا على شدة وطأة نتائج تلك الكوارث في يمن القرن ١٠هـــ/١٦م.

الهوامش:

---

١ حسين عبد الله العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(٩٢٢_١٣٣٦هـــ/١٥١٦_١٩١٨م)، من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحي حميد الدين، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٣؛ حسين عبد الله العمري، "حركة التجديد والإصلاح في اليمن في العصر الحديث"، الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، العدد٩، ١٩٩٠م، ص١٧٥-١٩٤؛ سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن(١٥٣٨-١٦٣٥م)، دار الأمين، القاهرة، ط٥، ١٩٩٩م، ص٢٥؛ فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٦م، ص١٩؛ محمد السبيطلي، الصراع الدولي في البحر الأحمر، الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث، دار الشوكاني، صنعاء، ط١، ١٩٩٨م، ص٣. وفي هذا الصدد، يذهب بعض المؤرخين إلى تحديد الإطار الزمني لتاريخ اليمن الحديث بين بداية النفوذ المملوكي في اليمن ونهاية الحرب العالمية الأولى بينما يقدم البعض هذه النهاية إلى مطلع القرن العشرين. انظر: محمد يحيى الحداد، التاريخ العام لليمن، ج٤، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٥.

٢ تعد الأحوال البيئية بما فيها من كوارث طبيعية من الموضوعات التاريخية الحديثة المنضوية في إطار التاريخ الديموغرافي، الذي بدأت بعض الجامعات العربية الاهتمام به، كما هو الشأن مع وحدة التاريخ الديموغرافي للدراسات العليا في جامعة محمد الأول بمدينة وجدة المغربية.

٣ **زَبِيْد:** نسبةً إلى زبيد بن ربيعة...بن يعرب بن قحطان، وهو اسم وادٍ مشهور يصب في تهامة ثم في البحر الأحمر، وقد غلب اسم هذا الوادي على المدينة التي تقع في منتصفه فسميت باسمه، وكانت هذه المدينة تعرف قديماً باسم الحُصَيْب، نسبة إلى الحصيب بن عبد شمس... بن سبأ، قيل إن محمد بن زياد اختطها سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، بينما يؤكد الأكوع أنها كانت مبنية قبل هذا التاريخ، تقع جنوب غرب العاصمة صنعاء بحوالي٢٣٣كم، تميزت بشهرتها العلمية، وإليها ينسب جمع كبير من علماء اليمن. انظر: عبد الرحمن بن علي الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٦م، ص٣٢-٣٥؛ إسماعيل بن علي الأكوع، "زبيد مدينة العلم، والقول الفصل في تاريخ ظهورها"، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العدد٢٨، ٢٠٠٤م، ص١٩٣-١٩٨؛ عبد الرحمن الحضرمي، "لمحة تاريخية لمدينة زبيد"، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد٤٨، ١٩٩٢م، ص٣٨٣-٣٩٧؛ عبد الرحمن الحضرمي، " مدينة زبيد في التاريخ"، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العدد الأول، ١٩٨٠م، ص٩٦-١٠٥؛ عبد الله عبد السلام الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص١١؛ محمد عبده السروري، "نشأة مدينة زبيد في اليمن"، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، العدد٢٨، ٢٠٠٤م، ص١٩٠-١٩٢.

٤ يعرف وادي زبيد بوادي الزبيدي أيضاً، ولعل سبب الاندفاعة الكبيرة لمياه السيول القادمة منه إلى مدينة زبيد ترجع إلى كونه وادي كبير تتجمع روافده وفروعه ابتداءً من العدين ووادي عنه والسحول النازل من شمال مدينة إب، وكذا أودية بعدان وجبل حبيش والمخادر، وأودية القفر النازلة من عتمة ومغرب عنس، والأودية النازلة من شرق وصابين ومن ثم تلتقي في المضيق بين جبل راس ووصاب، ثم تسقي زبيد في البحر الأحمر بالفازة، وفي وادي زبيد نهر كبير يضيع معظمه تحت الرمال ويبدو في ساحل البحر بالفازة. انظر: حسين بن علي الوسي، اليمن الكبرى، ج١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩١م، ص٣٨.

٥ عبد الرحمن بن علي الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط١، ١٩٨٣م، ص٢٥٧.

٦ ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص٢٩٠.

٧ عبد القادر بن شيخ العيدروس، النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق أحمد حالو، محمود الأرناؤوط؛ أكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م، ص٩٩؛ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٩٣. يغلب ظننا على أنه في الوقت الذي يحيل هذا النص المصدري على قوة الكارثة، فإنه في الوقت نفسه يوحي بوجود نوع من المبالغة؛ خاصة إذا ما علمنا أن مقدار الباع- الذي يقاس به المسافة ما بين ذراعي الإنسان وعضديه وصدره - أربعة أذرع، وأن كلمة

(يقال) توحي بالسماع وعدم المعاينة والمشاهدة لذلك السيل ومن ثم عدم الجزم بدقة مقدار ارتفاعه. للمزيد انظر: علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م، ص٥٢.

٨ ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص٣٠٩.

٩ المصدر نفسه، ص٣٣٠.

١٠ المصدر نفسه، ص٣٣٩.

١١ العيدروس، م.س، ص١٥٢. القِرَب: جمع قربة، وهي ظرف من الجلد يخرز من جانب واحد، وتستعمل لحفظ الماء واللبن ونحوهما، وتقدر بـــ ١٠٠ رطل بغدادي، وهي عند الحنفية تساوي تقريباً 40,625 كجم، وعند الجمهور 38,250 كجم. انظر: جمعة، م.س، ص٤٣.

١٢ **عَدَنْ**: مدينة كبيرة وميناء مهم بجنوب اليمن، كانت قديماً تعرف بعدن أبين؛ للتمييز بينها وبين عدن لاعة بجنوب بني العوام في بلاد حجة، وقد تناقل الإخباريون حكايات أسطورية نُسجت حول قدمها وعراقتها، منها أن قابيل بن آدم هو الذي أسسها، تتميز بحصانتها الطبيعية من خلال إحاطة الجبال بها من ثلاث جهات: جبل شمسان من الغرب والشمال وجبل صِيْرَة من الجنوب الغربي، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة سنة٧٣٠هـــ/١٣٢٩م ووصف تلك الحصانة، تعد حالياً عاصمة اقتصادية وتجارية للجمهورية اليمنية. انظر: أبو عبد الله محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٨٤، ٨٥؛ أبو محمد عبد الله الطيب بامخرمة، النسبة إلى المواضع والبلدان،ج١، تحقيق مركز الوثائق والبحوث، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٤م، ص٤١٦، ٤١٧؛ إبراهيم بن أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، د.ط، ١٩٨٨م، ص٤٣٢؛ حسن صالح شهاب، عدن فرضة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م، ص١٧-٣١؛ عبد الله أحمد محيرز، "عدن"، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م، ص٦٤١-٦٤٤؛ حسين سعيد الملعسي، "تاريخ تطور النشاط التجاري الحر لميناء عدن للفترة١٨٥٠-١٩٦٧م"، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدن، العدد٥، ٢٠٠٠م، ص١٣٧-١٤١؛ سلطان ناجي، "عدن عبر التاريخ"، الإكليل، م.س، العدد٢، ٣، ١٩٨٣م، ص١٨٣-٢٠٣؛ علوي عبد الله طاهر، عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار، من عهد الزريعيين إلى عهد الاشتراكيين، دار جامعة عدن، ط١ ،١٩٩٧م، ص٣٤.

١٣ **لَحْجْ**: مدينة واسعة جنوب اليمن، إلى الشمال الغربي من عدن، تنسب إلى لحج بن وائل بن حمير بن سبأ، وهي اليوم إحدى المحافظات اليمنية. انظر: المقحفي، م.س، ص٥٤٨.

١٤ **أَبْيَنْ**: مدينة كبيرة ومشهورة جنوب اليمن، على ساحل البحر العربي، في الشمال الشرقي لمدينة عدن، تنسب إلى أبين بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وهي اليوم إحدى المحافظات اليمنية. انظر: المقحفي، م.س، ص١٢.

١٥ العيدروس، م.س، ص١٣٨، ١٣٩؛ ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص٣٢٣.

١٦ **حَضْرَمَوْتْ**: أكبر مدينة يمنية، تقدر مساحتها بـــ١٢٠ ألف ميل مربع ، عرفت قديماً باسم الأحقاف، وكانت موطن لقوم عاد، وبها قبر النبي هود عليه السلام، ويقع حالياً في منطقة السوم شرقي تريم، قيل إنها سميت بذلك نسبةً إلى

حضرموت بن حمير الأصغر، وقيل نسبةً إلى حضرموت بن يعرب بن قحطان، وهي اليوم إحدى محافظات الجمهورية اليمنية. انظر: الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م، ص١٦٥؛ بامخرمة، النسبة...، م.س، ص٢٢٢، ٢٢٣؛ خالد سالم باوزير، موانئ ساحل حضرموت، دار المعرفة، حضرموت، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٥-٢٨؛ محمد عبد القادر بافقيه، "حضرموت"، الموسوعة اليمنية، ج١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م ، ٤٠٥-٤١٠؛ محمد بن عقيل، "حضرموت"، ضمن: حضرموت، فصول في التاريخ والثقافة والثروة، جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير الثقافية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص١٩-٣٦؛ المقحفي، م.س، ص١٧٧.

١٧ **الشِّحْر**: مدينة وميناء في حضرموت، تتوسط في موقعها بين المحيط الهندي والبحر الأحمر، وهذا الموقع جعلها مركز اتصال بين الهند وإفريقيا الشرقية وبلاد الصومال جنوباً ومصر غرباً، كانت تسمى في العصور الحميرية الأسعاء، كما سميت أيضاً بسمعون، كانت الميناء والعاصمة الإدارية لكل ساحل حضرموت والمهرة إلى ظفار وتخوم عُمان، أما حالياً فقد اقتصر اسمها على مديرية الشحر بمحافظة حضرموت. انظر: حميس حمدان، الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٥-١٨؛ محمد حسين الفرح، اليمن في تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٦٦-٦٦٨؛ خالد حسن الجوهي، إمارة آل بن بريك في الشحر، دار الوفاق، عدن، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٣-٣١؛ المقحفي، م.س، ص٣٤٧.

١٨ **دَوْعَن**: هو الوادي الرئيسي في حضرموت وبه عدة قرى. انظر: المقحفي، م.س، ص٢٤٣.

١٩ سالم بن حميد، تاريخ حضرموت، المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ج١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩١م، ص١٧٥.

٢٠ من أبرز هذه المناطق الجرادف وغيل أبي وزير والنقعة وشكلترة وتبالة وشحير والشحر. انظر: انظر: عبد الله أحمد باسنجلة، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٠٩.

٢١ يشتهر هذا الوادي باسم عِدِم وهو من أشهر أودية حضرموت. انظر: الوسي، م.س، ص٢٦.

٢٢ يذكر أحد المؤرخين الحضارمة أن هذه الكارثة حصلت في الشحر وما حولها بخلاف بقية المصادر التي ذكرت حضرموت بشكل عام دون تفصيل. انظر: ابن حميد، م.س، ص٢٠٩.

٢٣ ذكر العيدروس ومن بعده الشلي وكذا ابن العماد الذي نقل منه أن الفقيه الفاضل عبد الله بن فلاح الحضرمي قال عن ذلك السيل:

سيل بوادي حضرموت اذاه عم في نوء إكليل النجوم أخذ نسم

وضعوا له تاريخ ناسب جوره يلقاه من يطلبه في أحرف ظلم . انظر: العيدروس، م.س، ص٣٧٣؛ جمال الدين أبي علوي محمد الشلي، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق إبراهيم بن أحمد

المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص٤٦٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، ج١٠، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م، ص٥٢٢.

٢٤ الشلي، م.س، ص٦٣٣.

٢٥ العيدروس، م.س، ص٥٨٤.

٢٦ أرخ الفقيه عبد الله بن فلاح لهذا السيل بقوله:

فاض في الأحقاف سيل غادر النخل خوياً

إن ترد تاريخه قـــــل عم طوفان الثريا. انظر: الشلي، م.س، ص٦٣٣.

٢٧ **صَنْعَاء:** مدينة يمنية كبيرة يعدها كثير من المؤرخين والباحثين من أقدم المدن العربية والعالمية، وقد بولغ في تاريخ ظهورها إلى ما بعد الطوفان، حتى يقال إن سام بن نوح هو الذي اختطها، ولهذا سميت – ولا تزال – مدينة سام نسبةً إليه، وتسمى أيضاً آزال نسبةً إلى آزال بن قحطان، تقع في قلب الهضبة اليمنية بين جبلي نُقُم شرقاَ وعَيْبَان غرباَ، ترتفع بحوالي ٢٢٠٠م عن مستوى سطح البحر، حالياً العاصمة السياسية والتاريخية للجمهورية اليمنية. انظر: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الأصطخري، المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،١٩٦١م، ص٢٣؛ أبو العباس أحمد بن عبد الله الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، د.م، صنعاء، ط٢، ١٩٨١م، ص١٠-٣١؛ جمال الدين علي بن عبد الله الشهاري، وصف صنعاء، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط١، ١٩٩٣م، ص٩-٢٧؛ إيمان محمد عوض بيضاني، صنعاء في كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين في القرن الهجري الرابع، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط١، ٢٠٠١م، ص٥٩-٧٧؛ حسين عبد الله العمري؛ يوسف محمد عبد الله، "صنعاء"، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م ، ج٢، ص٥٨٣-٥٨٨؛ زياد الديري، "صنعاء القديمة، معالمها التاريخية وفنها المعماري الأصيل"، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد١٤، ١٩٩٣م، ص٧٧-٩٦؛ عبد الله عبد السلام الحداد، صنعاء، تاريخها ومنازلها الأثرية، الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ١٥-٢٧؛ هيلين روجرز، "صنعاء مدينة الحصون"، ترجمة زيد محمد حجر، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد٤٨، ١٩٩٢م، ص٣٧٧-٣٨١ .

٢٨ **ثُلا:** مدينة أثرية تقع بالسفح الشرقي من الحصن المسمى باسمها، وعلى بعد ٤٥ كم شمال غرب صنعاء، سميت بثلا بن لباخة بن حمير الأصغر، اتخذها المطهر بن شرف الدين مقراً له في حربه ضد منافسيه على الإمامة، وضد العثمانيين أيضاً؛ وذلك نظراً لشدة حصانتها ووعورة طرقها، تتبع حالياً محافظة عمران. انظر: المقحفي، م.س، ص٩٩.

٢٩ عيسى ابن لطف الله، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م ، ص٢١٢.

٣٠ الكارثة الأقوى والأخطر عبروا عنها بالطوفان، سيل عظيم لم يعهد مثله، سيل عظيم هائل، سيل هائل أعظم، سيل مهيل، مطرة عظيمة جداً، والأقل قوة وخطورة عبروا عنها بسيل عظيم، مطرة عظيمة، مطر عظيم، غيث قوي، كثر المطر.

٣١ بالإضافة إلى العوامل الطبيعية والكوارث المترتبة عنها موضوع البحث، تورد بعض المصادر التاريخية نصوصاً توضح فيها مدى العلاقة بين العوامل البشرية المتعلقة بالحرب والحصار وبين القحط والغلاء والمجاعة والوفيات، كما هو الشأن في عدن سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م حينما اشتد عليها حصار القائد العماني مصطفى بيرم "حتى أكل أهلها الميتة والأهرار والكلاب" من شدة المجاعة، وتعرضها أيضا لموجة غلاء "عظيم لا يمكن وصفه" سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م؛ بسبب حصار المطهر بن شرف الدين لها في إطار محاربته للعثمانيين ما أدى إلى "موت عالم كثير من المسلمين واليهود"، بحسب باسنجلة، بينما انفرد النهروالي بالإشارة إلى أن الحصار الذي ضربه اليمنيون على عثمان باشا وجنوده في تعز تسبب في "حصول القحط" ومن ثم انعدام "علف الدواب وعليقها" سنة ٩٧٦هـ/١٥٦٨م وإن كنا نميل هنا إلى أن مصطلح القحط الذي استخدمه النهروالي يعني انعدام مواد الغذاء الخاصة بالإنسان والحيوان وليس جدب الأرض ومحاصيلها الزراعية. انظر: باسنجلة، م.س، ص٤٥، ١٢٢؛ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر، تحقيق حمد الجاسر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٢٠.

٣٢ محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ١٨، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٤-٤٦.

٣٣ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٠٨، ٣٠٩.

٣٤ المصدر نفسه، ص٣٢٢.

٣٥ باسنجلة، م.س، ص ٧١، ٧٧؛ ابن حميد، م.س، ص١٨٩، ١٩١.

٣٦ باسنجلة، المصدر نفسه، ص١١٠، ١١١.

٣٧ ابن حميد، م.س، ص٢٠٩.

٣٨ **المخلاف السُلَيْمَاني**: كان هذا المخلاف على مدى تاريخه ضمن ولاية اليمن في العهدين الأموي والعباسي وكذا أثناء ظهور الدويلات اليمنية المستقلة، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي، الذي كان عاملاً على المخلاف من قبل بني زياد(٢٠٣-٤٠٩هـ/٨١٨-١٠١٨م)، وقد أخضع العثمانيون المخلاف لسيطرتهم المباشرة سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، وحالياً أصبحت الخريطة السياسية للمخلاف موزعة بين اليمن التي تضم شريطاً ضيقاً من تهامة يمتد من ميدي إلى حرض، وبين السعودية التي تضم الطرف الجنوبي لتهامة، وهو ما يعرف اليوم بجيزان. للمزيد من المعلومات عن المخلاف انظر: ميشيل توشرر، "المخلاف السليماني"، ترجمة علي محمد زيد، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد٣٢، ١٩٩٨م، ص٦٤-١٥١. ص٧٢-١١٢؛ عبد الرحمن الحضرمي، نظرات في التاريخ العام لليمن، مركز عبادي، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٩٠-١٩٣؛ عبد الله بن محمد أبو داهش،

أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، ص٤٧-٦٠؛ فؤاد عبد الوهاب الشامي، تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات(١١٤١-١٢٦٤هـ/١٧٢٧-١٨٤٨م)، مع تحقيق مخطوطة نفح العود في أيام الشريف حمود، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٧-٣٠؛ أميرة علي المداح، المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٥م، ص١١-١٧.

٣٩ محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق خالد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٦٤.

٤٠ يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج٢، تحقيق سعيد عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، ١٩٨٦م، ص٧١٦.

٤١ ابن لطف الله، م.س، ص٢٠٤.

٤٢ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٩١.

٤٣ المصدر نفسه، ص٣١٠.

٤٤ أحمد بن يوسف بن فيروز، مطالع النيران في تاريخ اليمن، مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية، دار الكتب، القاهرة، تحت رقم١٦٧، ق٢، ٣٢؛ ابن لطف الله، م.س، ص ١٤٩، ١٥٠.

٤٥ البزاز، م.س، ص٣٨٩.

٤٦ وصفت المصادر التاريخية وباء الطاعون كما كان شائعاً آنذاك بأنه مادة سمية ينتج عنها بثر وورم مؤلم يصيب غالباً المناطق الرخوة من الجسم، ويظهر عليه احمرار أو اسوداد أو اخضرار، ويبدأ خفقان القلب بالازدياد في كثير من الأحيان فضلاً عن التقيؤ، وصنفته إلى ثلاثة أنواع وهم الطاعون: الدملي، والرئوي، والدبلي، أما علماء الطب والباحثون المحدثون فقد أكدوا انه من الأمراض الوبائية القديمة شديدة العدوى وسريعة الانتشار والفتك، ويتسبب بنسبة وفيات كبيرة جداً إذا ما انتشر في بلدٍ ما، وهو في الأصل من الأمراض التي تصيب الحيوانات القارضة كالفئران، ومنها ينتقل إلى الإنسان عن طريقين، إما التلامس المباشر مع الحيوانات المصابة أو عن طريق البراغيث، حيث تصاب الغدد اللمفاوية الموجودة في الفخذ والإبط والأذن وتبدأ بالتضخم، وتنتقل الجراثيم إلى الدم مباشرة ،ومن أبرز أعراضه الألم الشديد المصحوب بحمى وقشعريرة مع تقيؤ وعطش شديد، فضلاً عن صداع وهذيان، وتظهر في اليوم الثالث من الإصابة دمامل سوداء تأخذ بالتضخم شيئاً فشيئاً وإذا ما تقيحت هذه الدمامل يكون هناك أملٌ في شفاء المصاب ونجاته من الموت، أما إذا بقيت صلبة كما هي فأنها تؤدي إلى وفاته على الأغلب في اليوم الخامس من الإصابة ، كما تكون فرصة نجاة المصاب وشفائه كبيرة إذا بقي حياً إلى ما بعد اليوم العاشر، وينتقل الطاعون من منطقة إلى أخرى بشكل سريع إذا لم تتخذ التدابير الوقائية اللازمة لمنع انتشاره، وهذا ما كان مستحيلاً في اليمن إبان الحقبة المدروسة، لعدم وجود الطرائق والوسائل الكفيلة بمنع انتقاله من منطقةٍ إلى أخرى. انظر: فتحي سالم حميدي، "وباء الطاعون وأثره على

مدينة القاهرة في العصر المملوكي"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ١٢، العدد٤، ٢٠١٣، ص٤٥٥-٤٧٦. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر: البزاز، م.س، ص٩٠-٩٦،١٤٠،٣٩٠-١٤٤،٣٩٣-٣٩٣.

٤٧ ابن الديبع، الفضل ...، ص٢٦١؛ العيدروس، م.س، ص٧٥؛ أبو محمد عبد الله الطيب بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،ج١، دراسة وتحقيق عبد الغني علي الأهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٢م، ص٧٦١.

٤٨ **حَيْس**: مدينة بالجنوب من زبيد بمسافة ٣٥كم، نسبت إلى بانيها الحيس بن يريم ...بن شرحبيل الحميري. انظر: المقحفي، م.س، ص٢٠٣.

٤٩ **مَوْزَع**: مدينة بالجنوب الغربي من تعز بمسافة ٨٠كم، تنسب إلى موزع بن القفاعة بن عبد شمس بن وائل، كانت نقطة اتصال بين موانئ اليمن ومدنه التهامية. انظر: المقحفي، م.س، ص٦٤٤، ٦٤٥.

٥٠ العيدروس، م.س، ص٧٥.

٥١ البزاز، م.س، ص١٤٧.

٥٢ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٤١؛ العيدروس، م.س، ص١٤٨.

٥٣ الشلي، م.س، ص١٠٣، ٢٩٤.

٥٤ باسنجلة، م.س، ص٤٨، ٤٩.

٥٥ ابن القاسم، م.س، ص٧٦٧.

٥٦ أورد ابن لطف الله نصاً مصدرياً طويلاً يصف فيه هذا الطاعون ونتائجه سنقتبس جزء منه في هذه الإحالة والجزء الآخر سنستخدمه في المحور الثاني من هذا البحث، فقد ذكر أنه "في أول شعبان من السنة المذكورة وقع الطاعون الذي جرع أكثر الأمة المنون، وعم الحاضر والباد، وأفنى أكثر البلاد، وأفنى جملة الألوف، وعطل في المدينة الدور، وأخلى القصور...وكان يخرج من صنعاء كل يوم فوق المائة، ولم يبق في المدينة إلا اليسير والنزر الحقير...". انظر: ابن لطف الله، م.س، ص٧٥. كما أورد ابن القاسم(ص٦٦٩-٦٧٠) نتائج هذا الطاعون بصيغة مقاربة لابن لطف الله مع بعض الاختلاف سيأتي معنا في المحور الثاني للبحث.

٥٧ لم يشر ابن لطف الله لأية أحداث أخرى غير الطاعون في معرض حديثه عن سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٢م حيث دون ذلك بعبارة مقتضبة هذا نصها "وفيها حدث طاعون أقل من السابق إلا أنه سريع الفوت وحي الموت"، وانتقل إلى أحداث السنة اللاحقة. انظر: ابن لطف الله، م.س، ص٨٣.

٥٨ **الجرَاف**: هو أحد أحياء العاصمة صنعاء، يتوسط بين صنعاء والروضة، كان مقراً للإمام شرف الدين في القرن ١٠هـ/١٦م . انظر: الوسي، م.س، ص٩٢.

٥٩ ابن لطف الله، م.س، ص١١٣؛ ابن القاسم، م.س، ص٦٩١.

٦٠ ابن القاسم، م.س، ص٧١٧.

٦١ ابن لطف الله، م.س، ص٢٠٤.

٦٢ البزاز، م.س، ص٣٩١.

٦٣ ذكر باسنجلة أن الشيخ الإمام المقري عفيف الدين عبد الله بن أبي بكر باوعيل وعبد الله بن راشد بن حسن توفيا في تعز في شهر جمادي الأولى، وعن سبب الوفاة قال: "وأظن موتهما بالطاعون". انظر: باسنجلة، م.س، ص٦٥.

٦٤ أو شمندلة، مرض انتشر في مدينة زبيد ونواحيها وفي مدينة عدن و"الجبال" أي المناطق الجبلية الشمالية من اليمن، وقد عرفه العيدروس بأنه "ريح" أبرز أعراضه "يأخذ المفاصل والأعضاء، ويمنع من الحركة ثلاثة أيام، يكون معه حمى ثم تزول، وهو سليم"، أما ابن الديبع فقد أورده باسم "سمندلة"، ولعله ما يعرف بلغة حضرموت "بالنديغو". انظر: ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٧٧؛ العيدروس، م.س، ص٨٦.

٦٥ ذكر العيدروس أن هذا المرض "كثر ببلاد اليمن" لكن دون تحديد مناطق معينة، كما أشار إلى أنه استمر من أوائل سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م فما بعدها، لكن لم ينتج عنه وفيات، وهذه الحبوب التي تعرف بحبوب النار الفارسي عبارة عن مرض فيروسي يظهر بشكل طفح جلدي مؤلم ناتج عن نشاط فيروس العنقز أو جدري الماء ويعرف بالحلأ النطاقي وكذا الحزام الناري والزونا، وقد أرجع بن القاسم سبب انتشار ذلك المرض – في معرض اعتماده على ابن الديبع في كتابه الفضل المزيد – إلى شيوع مظاهر الفساد والفجور والزنا وشرب الخمر في زبيد آنذاك. انظر: العيدروس، م.س، ص٨٦، ٨٧؛ ابن القاسم، م.س، ص٦٣٢.

٦٦ للاطلاع على العوامل التي تؤدي إلى حدوث الزلازل في اليمن انظر: شاهر جمال آغا، "أسباب زلازل اليمن ونظرة تحليلية لزلزالي ذمار والعرين"، مجلة كلية الآداب، صنعاء، العدد ١٥، ١٩٩٣م، ص١٢٧-١٣٨.

٦٧ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٧٤؛ العيدروس، م.س، ص٨٥.

٦٨ العيدروس، م.س، ص٨٨.

٦٩ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣١٣؛ العيدروس، م.س، ص١٣٦.

٧٠ ابن الديبع، المصدر نفسه، ص٣٢٥؛ العيدروس، المصدر نفسه والصفحة، ص١٣٦، ١٣٩؛ ابن لطف الله، م.س، ص٢٥، ٢٦.

٧١ ابن الديبع، المصدر نفسه، ص٣٢٥؛ العيدروس، المصدر نفسه، ص٨٨، ١٣٩. للاطلاع على العوامل التي تؤدي إلى حدوث الزلازل في اليمن انظر: شاهر جمال آغا، أسباب زلازل اليمن ونظرة تحليلية لزلزالي ذمار والعرين، مجلة كلية الآداب، صنعاء، العدد ١٥، ١٩٩٣م، ص١٢٧-١٣٨.

٧٢ **تَعِزّ**: مدينة في مرتفعات اليمن الجنوبية، على سفح جبل صبر، وبمسافة حوالي ٢٥٠كم من صنعاء جنوباً، كانت جزءاً من مخلاف الجند، الذي اتخذه الصحابي معاذ بن جبل مقراً لنشر الدعوة الإسلامية في اليمن، وبنى فيه الجامع الذي اشتهر باسمه حتى اليوم، وقيل إن تعز عرفت بهذا الاسم عندما وصل إليها توران شاه الأيوبي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، وكان حينها يطلق اسم تعز على القلعة التي تسمى اليوم القاهرة فقط، أما المدينة كانت تسمى عُدَيْنَة، وقد كانت تعز عاصمةً للدولة الرسولية، و زارها- آنذاك – الرحالة المغربي ابن بطوطة سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، على عهد الملك المجاهد الرسولي(٧٢١-٧٤٦هـ/١٣٢١-١٣٦٢م)، ووصفها بأنها من أحسن مدن اليمن وأعظمها، وتعد حالياً إحدى

المحافظات وعاصمة اليمن الثقافية. انظر: محمد أحمد المجاهد، مدينة تعز غصن نظير في دوحة التاريخ، د.م، ط١، ١٩٩٧م، ص١٣-٢٤؛ المقحفي، م.س، ص٩١؛ يوسف محمد عبد الله، "تعز"، الموسوعة اليمنية، ج١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٤٠-٢٤٢. تجدر الإشارة هنا إلى أن الباحث شارك ببحث بعنوان "تعز(عاصمة اليمن الثقافية) في عيون الرحالة المغاربة، ابن بطوطة نموذجاً"، ضمن أعمال الندوة الفكرية حول التواصل الثقافي والتاريخي بين اليمن والمغرب، بتنظيم من جمعية حوار الحضارات والتبادل الثقافي المغربية ومكتب الثقافة بمحافظة تعز، جامعة تعز، ٢٠١٣/١١/١٣م.

٧٣ عبد الصمد بن إسماعيل الموزعي، الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل آل عثمان، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد، صنعاء، د.ط، د.ت، ص٩٤. تجدر الإشارة أن من أسباب تخصيص الموزعي لمدينة تعز دون غيرها من مناطق اليمن التي تعرضت للزلزال الذي أشار إليه يرجع إلى انتمائه لهذه المدينة كونه من أبناء موزع ويعد هو المؤرخ الرسمي والرئيس لهذه المدينة خلال المرحلة الزمنية للبحث، وللباحث بحث بعنوان "مؤرخوا تعز ومؤلفاتهم في العهد العثماني الأول باليمن، الموزعي وكتابه الإحسان نموذجا، شارك به في المؤتمر الدولي : اليمن في العهد العثماني الأول، جامعة أوشاك، تركيا، ١٢-١٥ مارس ٢٠١٥م.

٧٤ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٩٠، ٢٩١، ٣٥٠؛ العيدروس، م.س، ص٩٩، ١٣٧، ١٥٢.

٧٥ **بَنْدَر**: لفظ فارسي بمعنى ميناء أو مدينة ساحلية، دخل العربية عن طريق اللغة التركية، وفي بدايات العصر الحديث أطلق لقب شاه بندر على كبير التجار في السوق أو المدينة باعتبار أن الحركة التجارية أكثر ما تتجلى في الموانئ البحرية. انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٧٨.

٧٦ العيدروس، م.س، ص٩٩، ١٣٥، ١٥٢.

٧٧ **الحيمر**: هو اسم نجم يعرف بالنطح وفيه تشتد رياح الأزيب التي تهب من الشمال إلى الجنوب. انظر: باسنجلة، م.س، ص٥٧(هامش رقم٦).

٧٨ باسنجلة، م.س، ص١٠٩.

٧٩ ابن حميد، م.س، ٢٠٩.

٨٠ العيدروس، م.س، ص١٥٢.

٨١ باسنجلة، م.س، ص١١٠. ولعل هذا ما ذهب إليه العيدروس وإن كان ضمن حوادث سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١م حين ذكر عبارة مقتضبة مفادها أنه "صار بحضرموت حريق البرد المشهور" ما يحيل على شدة درجة البرد الذي أدى إلى احتراق(يبس أو قحولة) الأشجار. انظر: العيدروس، م.س، ص٣٧١.

٨٢ ابن الديبع، م.س، ص٢٤٩.

٨٣ **بيت الفقيه**: تقع على وادي ذوال، إلى الشمال الشرقي من مدينة زبيد. انظر: الهمداني، م.س، ص٩٧.

٨٤ **الزَيْدِيَة:** إحدى مدن تهامة بالقرب من وادي سُرْدُد، إلى الشمال الشرقي من مدينة الحديدة بمسافة ٦٢كم. انظر: المقحفي، م.س، ص٢٩٥-٢٩٦.

٨٥ الموزعي، م.س، ص٨٣-٨٤.

٨٦ **باب المَنْدَب:** هو مفتاح المدخل الجنوبي للبحر الأحمر والمضيق الاستراتيجي المهم فيه، يقع بين الزاوية الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا، وتحديداً بين اليمن غرباً وجيبوتي شرقا، وعلى بعد ١٤ميل شمالاً يوجد الساحل الإريتري والإثيوبي، ويربط البحر الأحمر بخليج عدن والمحيط الهندي، ويعد بذلك من أهم وأخطر المضايق العالمية؛ حيث يصل بين الشرق والغرب(بين آسيا وإفريقيا وأوروبا). تسيطر اليمن على حركة الملاحة عبر هذا المضيق (الممر) بفرضها الرقابة على القوى الداخلة والخارجة منه وإليه، بحكم امتلاكها لكل من البر وجزيرة ميون(بريم)، قيل إن سبب تسميته بباب المندب(أو الدموع) يرجع إلى خطورة مرور السفن به؛ بسب الصخور البركانية المتناثرة فيه، والتي تؤدي في كثير من الأحيان إلى إغراقها ومقتل بحارتها، حتى أن عائلاتهم كانت تندبهم وقت رحيلهم إلى هذا المضيق. انظر: آمال إبراهيم محمد، الصراع الدولي حول البحر الأحمر، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٣م، ص٢١؛ السبيطلي، م.س، ص١١، ١٢؛ عبد الوهاب عبد الستار القصاب، المحيط الهندي وتأثيره في السياسات الدولية والإقليمية، بيت الحكمة، بغداد، د.ط، ٢٠٠٠م، ص٦٣، ٦٤، ١٧٠؛ قاسم الدويكات، جغرافية الوطن العربي، د.م، د.ط، ١٩٩٨م، ص٢٤، ٢٥؛ طارق عبد المعطي بيومي، سياسة مصر في البحر الأحمر، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٩م، ص٢٢؛ قصي كامل شهاب، أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٤، ص٨؛ خديجة الهيصمي، سياسة اليمن في البحر الأحمر، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م، ص٩٩-١٠١؛ وليد جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٩٨٦م، ص٢٣.

٨٧ **المَخَا:** ميناء مشهور على ساحل البحر الأحمر غربي مدينة تعز بمسافة ٩٤كم، وإليه ينسب أفخر أنواع البن اليمني. انظر: إبراهيم محمد الصلوي، "المخا"، الموسوعة اليمنية، م.س، ج٢، ص٨٤٣_٨٤٥.

٨٨ ابن الديبع، م.س، ص٢٩١، ٣٢٧.

٨٩ **سنبوق:** من أنواع المراكب البحرية المعروفة عند العرب، كان مستعملاً لأغراض النقل في الخليج العربي والبحرين الأحمر والهندي عند بداية العصر الحديث، ويلفظ أحياناً سمبوك. انظر: الخطيب، م.س، ص٢٥٨.

٩٠ **المُكَلا:** من بلدان حضرموت المشهورة على ساحل البحر، وهي اليوم عاصمة لمحافظة حضرموت. انظر: باسنجلة، م.س، ص١٥٩.

٩١ **زَيْلَع:** أو(أماليتس) كما ذكرها بطليموس، ميناء ومدينة على ساحل البحر الأحمر الأفريقي بالقرب من باب المندب، تتبع حالياً جمهورية الصومال، كانت ميناءً ومقراً لدولة عدل أو عدول الإسلامية التي تحتل موقعها اليوم هرر، كما كانت تمتد من ميناء مصوع شمالاً إلى إقليم أوجادين جنوباً، ومن رأس غوردافوي شرقاً إلى أطراف الهضبة الغربية

غرباً، هاجمها البرتغاليون بقيادة لوبو سوريز سنة ٩٢٢هـــ/١٥١٦م انتقاماً منها على مواقفها الجهادية المعادية لمملكة الحبشة المسيحية المتحالفة مع البرتغال. انظر: أحمد محمد عبيد بطي، الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، د.م، دبي، ط١، ١٩٩١م، ص١٧٢(هامش رقم١)؛ أف. أل. بلايفير، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد النوبان؛ علي باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م ص٩٧؛ حسين علي الحبيشي، اليمن والبحر الأحمر، الموضع والموقع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص١٣٠؛ هنري لابروس، "البرتغاليون والفرنسيون في اليمن والبحر الأحمر مطلع العصور الحديثة"، ترجمة حسين أحمد الورد، الإكليل، م.س، العدد ٢٤، ٢٠٠١م، ص١٤٧-١٧٧.

٩٢ ابن حميد، م.س، ص١٧٥.

٩٣ **دِيُو**: من أهم موانئ كجرات الهندية آنذاك، استولى عليه البرتغاليون سنة ٩٦٣هـــ/١٥٥٥م، وبقي في أيديهم حتى استردته الهند المستقلة سنة١٣٨٢هـــ/١٩٦٢م. انظر: زين الدين بن عبد العزيز المعبري، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق أمين توفيق الطيبي، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١، ١٩٨٧م، ص٨٣(هامش٢).

٩٤ العيدروس، م.س، ص٤٦٢.

٩٥ للمزيد حول هذا الموضوع انظر: ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص ٢٤٢، ٢٤٣،٢٥٣، ٢٦٥، ٢٩٤-٣٠٨، ٣٣٣-٣٣٧؛ ابن القاسم، م.س، ص٦٢٨.

٩٦ العيدروس، م.س، ص٧٠، ٨٥، ١٣٥، ٣٧١.

٩٧ بامخرمة، قلادة...، م.س، ج١، ص٧٦٦..

٩٨ تم أول تعداد سكاني في المحافظات الجنوبية من اليمن سنة١٣٩٣هـــ/١٩٧٣م وفي المحافظات الشمالية سنة ١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م، أما التعداد الثاني فقد تم في الجنوب سنة١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م وفي الشمال سنة١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م، وبعد الوحدة تم أول تعداد سكاني لليمن الموحد سنة١٤١٥هـــ/١٩٩٤م وثاني تعداد سنة١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م. انظر: عادل مجاهد الشرجي، المحددات الاجتماعية للنمو السكاني في اليمن دراسة سسيو تاريخية، مركز التدريب والدراسات السكانية؛ صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية، صنعاء، نوفمبر ٢٠٠١م، ص١٧-٤١.

٩٩ العيدروس، م.س، ص٧٣.

١٠٠ المصدر نفسه، ص٩٩.

١٠١ الشلي، م.س، ص٦٣٣.

١٠٢ كان هؤلاء الضحايا من المسفلة وترعم، وظهر بعضهم بالشحر عند حيريج ونواحيها بعد أن سحبه السيل. انظر: ابن حميد، م.س، ص٢١٠.

١٠٣ ابن لطف الله، م.س، ص١٤٩.

١٠٤ **إبّ**: مدينة مشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة ١٤٠كم، وهي من أخصب مناطق اليمن وأجملها، تسمى باللواء الأخضر، وهي اليوم إحدى المحافظات اليمنية، قيل إنها سميت بذلك نسبةً لشهر آب(أغسطس)، وقيل تعني المكان كثير المرعى. انظر: محمد أحمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج١، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط٢، ١٩٩٦م، ص٣١-٥١؛ أحمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص١٩؛ المقحفي، م.س، ص٦، ٧؛ وزارة الثقافة والسياحة، مهرجان إب السياحي السنوي الثاني، مجلس الترويج السياحي، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص١١.

١٠٥ ابن فيروز، م.س، ق٣٢.

١٠٦ باسنجلة، م.س، ص١١٠، ١١١. أشار بن حميد إلى وفاة الناس ومواشيهم في الطرقات من شدة الجوع الناجم عن الغلاء والقحط الذي ضرب حضرموت والشحر مدة ثلاثة أشهر خلال سنة ٩٦٨هـ/١٥٦١م كما أسلفنا. انظر: ابن حميد، م.س، ص٢٠٩.

١٠٧ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٦١؛ العيدروس، م.س، ص٧٥.

١٠٨ ابن الديبع، المصدر نفسه، ص٢٤١؛ العيدروس، المصدر نفسه، ص١٤٨.

١٠٩ الشلي، م.س، ص١٠٣.

١١٠ باسنجلة، م.س، ص٤٨.

١١١ من أبرزهم حاكم الإمام شرف الدين القاضي العلامة محمد بن الحسن النحوي. انظر: ابن القاسم، م.س، ص٦٦٧.

١١٢ ابن لطف الله، م.س، ص٧٥.

١١٣ ابن القاسم، م.س، ص٦٦٩-٦٧٠.

١١٤ ابن القاسم، م.س، ص٧١٧.

١١٥ اقتصر ابن لطف الله على ذكر نماذج لأسماء بعض ممن توفوا نتيجة وباء الطاعون وجلهم من أسرة الإمام شرف الدين الحاكمة آنذاك والتي ينتمي إليها المؤرخ. للمزيد انظر: ابن لطف الله، م.س، ص٢٠٤.

١١٦ العيدروس، م.س، ص١٥٢.

١١٧ ابن الديبع، الفضل ...، ص٢٩١، ٣٢٧.

١١٨ ابن حميد، م.س، ص١٧٥.

١١٩ المصدر نفسه، ص٤٦٢.

١٢٠ ابن الديبع، م.س، ص٣٣٣.

١٢١ العيدروس، م.س، ص١٣٨، ١٣٩.

١٢٢ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٣٠.

١٢٣ المصدر نفسه، ص١٥٢.

١٢٤ ابن فيروز، م.س، ق٣٢.

١٢٥ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٦١.

١٢٦ العيدروس، م.س، ص٧٥، ١٤٨.

١٢٧ الشلي، م.س، ص١٠٣.

١٢٨ **شِبَام**: هي أكبر مدينة حضرموت، وبها مبان ضخمة ومرتفعة موغلة في القدم، وقد ورد اسمها في عدد من النقوش القديمة. انظر: المقحفي، م.س، ص٣٤٣.

١٢٩ **بور**: من المدن القديمة بحضرموت، وهي من أمهات قرى السرير. انظر: الشلي، م.س، ص١٠٣.

١٣٠ باسنجلة، م.س، ص٤٨.

١٣١ ابن لطف الله، م.س، ص٧٥؛ ابن القاسم، م.س، ص٦٧٠.

١٣٢ ابن القاسم، المصدر نفسه والصفحة.

١٣٣ العيدروس، م.س، ص١٣٥.

١٣٤ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٠٩.

١٣٥ باسنجلة، م.س، ص٧١، ٨٤.

١٣٦ ابن لطف الله، م.س، ص٧٥؛ ابن القاسم، م.س، ص٦٧٠.

١٣٧ ابن القاسم، م.س، المصدر نفسه والصفحة.

١٣٨ العيدروس، م.س، ص٧٣.

١٣٩ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٥٠.

١٤٠ المصدر نفسه، ص٣٠١.

١٤١ العيدروس، م.س، ١٣٥.

١٤٢ المصدر نفسه، ص١٣٩.

١٤٣ ابن فيروز، م.س، ق٣٢.

١٤٤ ابن حميد، م.س، ص٢٠٩.

١٤٥ العيدروس، م.س، ص٩٩.

١٤٦ ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص٢٩٠.

١٤٧ المصدر نفسه، ص٣٠٩.

١٤٨ المصدر نفسه، ص٣٣٩.

١٤٩ العيدروس، م.س، ص١٥٢.

١٥٠ المصدر نفسه، ص٩٩؛ ابن الديبع، م.س، ص٢٩٠، ٢٩١.

١٥١ ابن الديبع، م.س، ص٢٩١.

١٥٢ المصدر نفسه، ص٣١٠.

١٥٣ ابن فيروز، م.س، ق٣٢.

١٥٤ العيدروس، م.س، ص١٣٨، ١٣٩؛ ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص٣٢٣.

١٥٥ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٢٥؛ العيدروس، م.س، ص٨٨، ١٣٩. ١٩٩٣م، ص١٢٧-١٣٨.

١٥٦ ابن حميد، م.س، ص١٧٥.

١٥٧ باسنجلة، م.س، ص١٠٩.

١٥٨ المصدر نفسه، ص١١٠.

١٥٩ العيدروس، م.س، ص٣٧٣.

١٦٠ **المَسيلة:** مصيف يبعد عن تريم بستة أميال إلى الجنوب، ووادس مشهور يصب في أرض المناهيل شرقي وادي حضرموت ويترل سيحوت. انظر: باسنجلة، م.س، ص١٥٨.

١٦١ **الرَيدَة:** قرية شرقي قصيعر، كانت تسمى ريدة بن حمدات والغيضة. انظر: باسنجلة، م.س، ١٥٥.

١٦٢ ابن حميد، م.س، ص٢١٠.

١٦٣ **دراهم:** جمع درهم، ومعناه في اللغة اسم لما ضرب من الفضة على وجه مخصوص، وهو وحدة نقدية من مسكوكات الفضة معلومة الوزن، قيل إن أصله يوناني من كلمة "دراخما، ويقابلها دراخم"، وقيل إنه فارسي معرب، وقد وردت الدراهم في القرآن الكريم في سورة يوسف أية ٢٠ "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة"، ومقداره عند الحنفية(3,125 جرام) وعند الجمهور (2,975 جرام).، والقليل من الدراهم يطلق عليها الدرهم اليمني الحميري ووزنه دانق أي يساوي(0,495) من الجرام وهو الأقل وزناً بالنسبة للدراهم المتداولة واستقر وزنه بعد الإسلام على ستة دوانيق. انظر: جمعة، م.س، ص١٩؛ إيمان محمد بيضاني، "عدن في مصنفات ابن المجاور وابن بطوطة"، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، العدد ٢٣، ٢٠٠٦م، ص٦٩-١١٦.

١٦٤ **دنانير:** جمع دينار، وهو اسم للقطعة المضروبة من الذهب المقدرة بالمثقال، ومن ثم فالدينار هو المثقال من الذهب، ومقداره بالاتفاق(4,25 جرام)، ويعتبر امتداداً لما كان سائداً من عملات قبل الإسلام مع تغييرات في النقوش التي تعبر عن السيادة للدولة الإسلامية. انظر: جمعة، م.س، ص١٩؛ بيضاني، عدن...، م.س، ص٩٨.

١٦٥ **أواق:** جمع أوقية، وهي من أشهر الموازين التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، وقد أجمع العلماء على أن قدرها يساوي أربعون درهماً، وهي عند الحنفية تساوي(124,8 جرام) وعند الجمهور تساوي ١١٩ جرام تقريباً. انظر: جمعة، م.س، ص٢٠، ٢١.

١٦٦ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٠٩.

١٦٧ لعل المقصود بالطعام هو حوب الذرة وغيرها، ومما زاد من تضاعف الأسعار – الناجمة عن الكوارث الطبيعية- في زبيد انخفاض قيمة العملة نتيجة الغش والتزييف الذي شهدته آنذاك، حيث ذكر ابن الديبع أنه تم تغيير سكة الدراهم السلطانية بمدينة زبيد وكثر زيفها وتلفت أموال الناس لذلك، وبلغت عشر قفال ونصف قفلة باثني عشر دينار دراهم

فضة محلقة عدداً مع أن وزنها يساوي سبع قفال ونصف، وفي موضع آخر أكد ابن الديبع أن الأسعار ارتفعت في زبيد في شهر شوال ٩١٦هـ ارتفاعاً عظيما حتى بلغ الثمن بثلاثة دنانير، دون تحديد نوع السلعة المشتراة التي يرجح أنها طعام الذرة، ما يحيلنا على التفاوت في الأسعار خلال السنة الواحدة وعلى حجم الزيادة التي تطرأ عليها. انظر: ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٢٢، ٣٢٥. وللمزيد من التفاصيل حول عمليات الغش والتزييف للعملة انظر: م .م جمال، " الغش والتزييف في العملة وعقوباتها في التاريخ العربي الإسلامي"، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، جامعة ديالى، العدد الخامس والعشرين، ٢٠٠٧، ص١-١٩.

١٦٨ ابن حميد، م.س، ص١٨٩، ١٩١.

١٦٩ **مُصري:** بضم الميم وسكون الصاد مكيال معروف بحضرموت يقدر بالنفر عند أهل صنعاء أو أكبر منه بقليل. انظر: باسنجلة، م.س، ص٧١(هامش رقم ٣).

١٧٠ **بُقْشَة:** عملة نقدية برونزية سمكها ٢٧مم، استخدمت على إثر استقلال اليمن من الدولة العثمانية في عهد المملكة المتوكلية اليمنية والجمهورية العربية اليمنية، وكل أربعين بقشة كانت تشكل ريال واحد، وقد ذكر الموزعي أنها كانت مستخدمة في اليمن خلال العهد العثماني الأول حين ضرب الوزير أبو محمد سنان باشا سكة جديدة بمخيمه في منطقة خزيمة بصنعاء بعد أن عين بكلربك على اليمن سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٤م، كل أربعين بقشة من هذه السكة تساوي أوقية كاملة، وسميت بالبقشة السنانية، وأصل تسميتها مأخوذ من التسمية التركية للصرة، التي تعني كيس النقود، أو قطعة القماش التي تصر بها النقود. انظر: الموزعي، م.س، ص٩٤-٩٨، ص٩٧(هامش ٩٩)؛ صابان، م.س، ص١٤٣.

١٧١ **رطل:** هو وحدة وزن ساد تداولها في الإسلام وتختلف من زمن إلى آخر، ويوزن بها كثير من المزروعات ويساوي ١٢ اوقية من الفضة، ورطل اليمن بغدادي، والرطل البغدادي يساوي ٤٠٨ جرامات ويساوي تقريباً ١٢٨ درهماً. انظر: محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م، ص٣١٧؛ بيضاني، م.س، ص٩٦.

١٧٢ باسنجلة، م.س، ص٧١.

١٧٣ المصدر نفسه والصفحة؛ ابن حميد، م.س، ص١٨٩.

١٧٤ المصدر نفسه، ص١١٠، ١١١؛ المصدر نفسه، ص٢٠٩.

١٧٥ **الزَبَدي:** وحدة كيل تستخدم لكيل الغلال والأطعمة بأنواعها، ويختلف من مدينة إلى أخرى، وقد حدده بن المجاور في عدن مناً واحداً والمن يساوي رطلين، وقد وضع على عيار زبدي الجند سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م. انظر: بيضاني، "عدن ..." م، س، ص٩٦.

١٧٦ **الحرف:** مفرد تثنيتها حرفان وجمعها حروف أو أحرف، عملة يمنية كانت معروفة في اليمن خلال العهد العثماني الأول، واستمرت متداولة بعد ذلك بحيث أصبحت من أجزاء الريال الإمامي المصكوك آنذاك، وقيمة الحرف لم تكن ثابتة بالنسبة للريال، بل كانت تتأرجح بين ٢٠٠-٤٠٠ حرف للريال الواحد خاصةً في القرن التاسع عشر الميلادي. انظر: الخطيب، م.س، ص١٤١؛ الموزعي، م.س، ص٥٥.

١٧٧ ابن القاسم، م.س، ص٧١٦.

١٧٨ العيدروس، م.س، ص٧٣.

١٧٩ المصدر نفسه، ص٩٩.

١٨٠ المصدر نفسه والصفحة.

١٨١ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٣٩.

١٨٢ المصدر نفسه، ص٢٩٠.

١٨٣ المصدر نفسه والصفحة.

١٨٤ المصدر نفسه والصفحة.

١٨٥ لم نجد أية إشارة عن العدد الإجمالي للبيوت في قرية الزريبة. انظر: ابن الديبع ، الفضل...، م.س، ص٣٠٨.

١٨٦ المصدر نفسه، ص٣٣٧.

١٨٧ المصدر نفسه، ص٢٤٩.

١٨٨ العيدروس، م.س، ص٨٥؛ ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص٢٧٣، ٢٧٤.

١٨٩ العيدروس، م.س، ص١٣٥.

١٩٠ المصدر نفسه، ص١٣٨.

١٩١ من أبرز هذه المناطق الجرادف، وغيل أبي وزير، والنقعة، وشكلترة، وتبالة، وشحير، والشحر. انظر: باسنجلة، م.س، ص١٠٩.

١٩٢ ابن حميد، م.س، ص٢٠٩، ٢١٠.

١٩٣ أدى هذا السيل إلى تهدم جزء من سور صنعاء. انظر: ابن لطف الله، م.س، ص٢١٢.

١٩٤ المصدر نفسه، ص١٣٩.

١٩٥ **الأربطة**: جمع رباط، ويعني لغةً ملازمة ثغر العدو، واصطلاحاً دار حصينة كان العرب المسلمون يقيمونها لأغراض حربية ودينية في مناطق الثغور، على الحدود الفاصلة ما بين الدول الإسلامية وما جاورها من دول اخرى، لدفع غارات واعتداءات الجيوش المعادية، وأثناء السلم والاستقرار كانت تتحول إلى أماكن للعبادة والدرس من قبل، المجاهدين الذين كانوا في غالبيتهم من الجماعات الصوفية. انظر: الخطيب، م.س، ص٢٠٤، ٢٠٥.

١٩٦ **التكايا**: جمع تكية، لفظ تركي أطلق على رباط الصوفية. انظر: الخطيب، م.س، ص١١٠.

١٩٧ مثّل اعتراف المماليك بالسيادة العثمانية سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م بدايةً للسيطرة العثمانية الغير مباشرة على اليمن، بينما امتدت السيطرة العثمانية المباشرة قرابة قرن ونصف من الزمان، توزعت على مرحلتين: الأولى من ٩٤٥هـ/١٥٣٨م إلى ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م وهي ما تسمى بالعهد العثماني الأول، والثانية من١٢٨٩هـ/١٨٧٢م إلى ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، وهي ما تسمى بالعهد العثماني الثاني.

١٩٨ **بكلربك:** أو بكلربكي، أمير أمراء، وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية، كان في بداية الأمر يوجد بكلربك واحد في الدولة العثمانية مسئولاً عن الجيش ومتعلقاته ويأتي في المرتبة بعد السلطان مباشرةً، وحينما توسعت الدولة العثمانية أصبح هناك واحد للروملي وآخر للأناضول، ثم زاد عددهم وقل نفوذهم، ومنهم كان يختار الولاة وقادة الجيش، ولهم اقطاعات مالية كبيرة، وتنطق(بيلربي) لأن الكاف الفارسية ياء. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٤؛ محمود عامر، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، العددان ١١٧، ١١٨، يونيو ٢٠١٢م، ص٣٥٦-٣٨١.

١٩٩ كان كتخدا(نائباً) لبكلربك اليمن حسن باشا لقرابة خمسة وعشرون عاماً حكم فيها اليمن، ثم عين بكلربك على اليمن – عوضاً عن الوزير حسن باشا الذي أسند إليه ولاية مصر – سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٤م، وقد كان من الولاة العثمانيين الذين تركوا بصمات مهمة في اليمن، حيث قام ببناء وتشييد عدد من المنشآت العمرانية الدينية والتعليمية والخيرية على مستوى اليمن عموماً وتعز خصوصاً، وقد عزل عن منصبه سنة ١٠١٦هـ/١٦٠٧م وعين جعفر باشا خلفاً له. للمزيد انظر: الموزعي، م.س، ص٦١-١٠٥.

٢٠٠ **باشا:** الوزير الوالي، نائب السلطان في ولايته، ولا سيما بعد انقراض عصر البكلربكي سنة ٩٩٥هـ/١٠٨٧م. انظر: عامر، م.س، ص٣٦٨.

٢٠١ **الكُشَّاف:** جمع كاشف، وهو لقب وظيفي من ألقاب التكريم بمعنى: رئيس، أطلق في العصر الأيوبي على الرؤساء الكبار، وفي العصر المملوكي أضيف إليه بعض الأسماء التي تدل على طبيعة عمل صاحبه، فقيل كاشف الطير لمن كانت مهمته الإشراف على القراقشية، وهم صنف من العسكر مهمتهم مراقبة الطيور التي تصيدها الملوك بالجوارح، والإشراف على خدمتها وحماية الأماكن التي تتوطن بها، وفي العهد العثماني استمر العمل بهذا اللقب، وتطور مدلوله حيث وجد لقب كاشف البحر، وهو من جملة الألقاب التي على قائد الأسطول في عهد السلطان سليم الثاني، كما أصبح يدل على الموظف المكلف بعمليات الحصر وجمع الضرائب . انظر: الخطيب، م.س، ص٣٦٠.

٢٠٢ **عبد الهادي السُودي:** هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السودي، الشهير بالهادي اليمني، قطب العارفين وسلطان العاشقين، أحد الأولياء الكبار والمشائخ المشهورين في الأقطار بحسب العيدروس، سمي بالسودي نسبةً إلى قرية تسمى سودة شضب على ثلاث مراحل من صنعاء، ونسبه يرجع إلى بني شمر من أولاد كندة، درس وأفتى، ونسبت له عدد من الكرامات، له ديوان شعري مشهور على طريق أهل التصوف أسماه "بليل الأفراح وراحة الأرواح"، كان مولعاً بشرب القهوة لدرجة أنه كان يوقد تحتها بنفائس الأشياء التي تهدى إليه أو يملكها، توفي في صفر ٩٣٢هـ/نوفمبر ١٥٢٥م، وقبره مشهوراً في تعز وعليه قبة كبيرة تسمى باسمه، كان له ولدان أحدهما عبد القادر مات في حياة أبيه وخلف بنتاً ارتبط نسل الشيخ السودي بها، والآخر محمد عاش بعد أبيه وتولى قضاء تعز ولما سيطر العثمانيون على تعز "لزموه وبعثوا به إلى مصر فمات هناك" حوالي سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٣م، : للمزيد انظر: العيدروس، م.س، ص٢١٦-٢٥٦.

٢٠٣ الموزعي، م.س، ص٩٤، ٩٥. لم يقدم لنا الموزعي نصوصاً توضح لنا نتيجة الحصر للأضرار التي خلفها الزلزال وإنما اكتفى بما أوردناه في المتن من كلام عام دون أرقام محددة عن الأماكن المتضررة .

٢٠٤ للمزيد عن هذا الموضوع انظر: ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٥٣_٣٣٧..

٢٠٥ العيدروس، م.س، ص٨٥؛ ابن الديبع، م.س، ص٢٧٣، ٢٧٤.

٢٠٦ العيدروس، المصدر نفسه، ص١٣٥.

٢٠٧ ابن الديبع، الفضل ...، م.س، ص٢٩١، ٣٢٧.

٢٠٨ ابن حميد، م.س، ص١٧٥.

٢٠٩ العيدروس، م.س، ص٨٥، ٨٨، ١٣٥-١٣٩.

٢١٠ ابن فيروز، م.س، ق٢، ٣٢؛ ابن لطف الله، م.س، ص ١٤٩، ١٥٠.

٢١١ العيدروس، م.س، ص٧٥.

٢١٢ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٠٨.

٢١٣ **كَنِن**: من حصون خولان العالية وسنحان، يعد من أشهر الحون وأعلاها في هذه المنطقة، وهو جبل واسع ممتد على معظم بلاد سنحان وبلاد الروس وبعض بلاد الحدا وهو ذروة واسعة بأعلاه الآبار التي تستخدم مياهها للزراعة، كما أنه محصن ويصلح أن يكون باعلاه مطار، وفيه من آثار العمائر والصهاريج المحفورة في الصخر وكذا المواجل العظيمة. انظر: المقحفي، م.س، ٥٤٣.

٢١٤ **الكُمَيْم**: مخلاف مشهور من أعمال ناحية الحدا جنوبي صنعاء، فيه من الآثار الحميرية النخلة الحمراء وسد قديم. انظر: المقحفي، م.س، ص٥٤١.

٢١٥ **الإمام شرف الدين**: هو شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى المرتضى، لقب بالمتوكل على الله، ولد في رمضان سنة ٨٧٧هـ/ يناير١٤٧٢م، يعد من كبار أئمة المذهب الزيدي وله العديد من المؤلفات الفقهية منها كتاب الأثمار في فقه الأئمة الأطهار، عاصر دخول المماليك ثم العثمانيين إلى اليمن، توفي بحصن الظفير بحجة سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م. للمزيد انظر: محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٧٨_٢٨٠؛ محمد بن يحيى بهران، ابتسام البرق، شرح القصص الحق في سيرة خير الخلق، تحقيق يحي عبد الكريم الفضيل، دار الكتب، صنعاء، ط١، ١٩٧٤م، ص٨؛ عبد السلام الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م، ص١١٣٤-١١٣٦؛ جمال الدين بن محمد المفضل، السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية، نشرت بعناية عبد الملك محمد الطيب، باكستان، ط١، ١٩٩٨م، ص٤-٢٠٨؛ محمد فيصل عبد العزيز الأشول، الإمام شرف الدين ودوره السياسي في اليمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص٢٧-٤١.

٢١٦ **باب اليمن**: يعد المدخل الرئيس لمدينة صنعاء القديمة من الجهة الجنوبية، وهو الباب الوحيد المتبقي في سور صنعاء من بين أربعة أبواب أساسية لذلك السور، يعد حالياً من المعالم التاريخية والسياحية البارزة في صنعاء. انظر:

حسين بن عبد الله العمري، الحضارة الإسلامية في اليمن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم- إيسيسكو، الرباط، د.ط، ١٩٩٣م، ص١١٩، ١٢٠.

٢١٧ قام المطهر بن شرف الدين بالاستيلاء على منطقتي كنن والكميم وضمهما إلى سلطته دون مواجهات بسبب خلوها من ساكنيها الذين تشرد بعضهم وتوفي البعض الآخر جراء وباء الطاعون. انظر: ابن لطف الله، م.س، ص٧٥، ٧٦.

٢١٨ **فِدة:** حصن منتصب في الطرف الجنوبي من وادي ظهر(غربي صنعاء بمسافة سبعة كيلو مترات)، يرتفع عن سطح البحر بحوالي ٢٤٢٣ متراً وهو وعر المسلك صعب المرتقى. انظر: المقحفي، م.س، ص٤٩٢.

٢١٩ **المطهر:** هو الابن الأكبر للإمام شرف الدين يحيي بن شمس الدين، ولد في رجب ٩٠٨هـ/١٥٠٣م، بحصن الظفير من بلاد حجة على الأرجح أظهر مبكراً مهارات عسكرية وسياسية متميزة، وخاض صراعاً عنيفاً مع القوى التي كانت موجودة آنذاك في الساحة اليمنية وعلى رأسها القوة الطاهرية ثم المملوكية فالعثمانية لمدة أكثر من نصف قرن من الزمن، توفي في ظروف غامضة سنة٩٨٠هـ/١٥٧٢م. انظر: الشوكاني، م.س، ص٣٠٩؛ الحسن بن عبد الرحمن الكوكباني، المواهب السنية مما من الله من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية، ج١، مخطوطة محفوظة بدار المخطوطات، الجامع الكبير، صنعاء، تحت رقم ٢٦٢٦، ص٢٥؛ محمد بن محمد بن يحيى زبارة، أئمة اليمن، ج١، مطبعة النصر، تعز، ط١، ١٩٥٢، ص٤٠٩؛ عبد القوي المخلافي، الإمام المطهر بن شرف الدين ودوره السياسي في تاريخ اليمن(٩٢٤-٩٨٠هـ/١٥١٨-١٥٧٢م)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٥م، ص١٧-٢١، ٩٩ ؛

J.R . BlACKBURN"AL_ Mutahar", Encyclopédi de l'Isl am, Tome VII, E.J. Brill, Leiden, 1993, p.763, p.763.

٢٢٠ ابن لطف الله، م.س، ص١١٣.

٢٢١ تم وصف تلك الحالة الاجتماعية من قبل أحد المؤرخين المعاصرين آنذاك بقوله: "فانتقل أهل المشرق إلى المغرب واليمن الأسفل بعد أن أكلوا الشجر ومات أكثرهم جوعاً ووباء...وخلت قرى كثيرة من أهل السواد". انظر: ابن فيروز، م.س، ق٢، ٣٢.

٢٢٢ **المشقاص:** منطقة واسعة في شرقي الشحر، تبدأ من رأس باغشوة غرباً إلى حساء شرقاً. انظر: باسنجلة، م.س، ص١٥٨.

٢٢٣ ابن حميد، م.س، ص٢١٠.

٢٢٤ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٢٧٤؛ العيدروس، م.س، ص٨٥.

٢٢٥ العيدروس، م.س، ص٨٨.

٢٢٦ **الصهاريج:** نظام قديم لتصريف مياه السلسلة الجبلية المحيطة بعدن وخزنها ومن ثم استخدامها للشرب؛ سيما في ظل ندرة مياه عدن العذبة أو عند الظروف الصعبة كالحرب والحصار، وترجع أقدم إشارة إليها للقرن الأول الميلادي

حينما ذكر صاحب كتاب "الطواف حول البحر الإريتري" وجود أماكن للتزود بالماء العذب في عدن، ونسب بنائها إلى الحميريين وليس للفرس أو الأتراك، وفي القرن العاشر الميلادي أشار الهمداني إلى وجود "بؤوراً للماء" جمع بئرة – الحفرة لحفظ الشيء، كما أشار المقدسي في القرن ذاته إلى وجود "حياض عدة"، وفي مطلع القرن الثالث عشر رأى ابن المجاور في عدن "عدداً من الصهاريج لخزن الماء"، وهو الأمر ذاته الذي شاهده ابن بطوطة في الثلث الأول من القرن الرابع عشر حينما زار عدن، وقد أرخ ابن الديبع خراب أغلبها في العقد الأول من القرن السادس عشر ودفن عدد منها، بينما بقي بعضها ظاهراً للعيان رآها بعض الرحالة في القرن التاسع عشر، واكتشف عدداً منها في أحياء المدينة المختلفة في منتصف القرن المذكور، وبعد عقدين من الاحتلال الإنجليزي لعدن لجأت سلطات هذا الاحتلال – بعد حصار المدينة والتهديد بقطع الماء عنها من قبل السلطنة العبدلية – إلى الكشف عن الخزانات المدفونة في منطقة الطويلة وإعادة ترميمها لا كمصارف لتحويل مياه الجبال إلى خزانات داخل المدينة، ولكن إلى صهاريج لخزنها في داخل الطويلة، وأضافت صهريجاً ضخماً لم يكن موجوداً من قبل عرف بصهريج كوجلان، ثم تدخل المهندسون بعد ذلك وبنوا سدوداً هدفها حصر الحجارة والطمي قبل نزول الماء في الصهاريج، وهي المهمة التي كانت تقوم بها المصارف قبل تحويلها إلى خزانات، وقد عطلت هذه السدود المجاري القديمة، فاتخذت لنفسها مخارج أخرى في الهضبة نفسها، ولم تمتلئ الصهاريج منذ ذلك الحين إلا مرتين أو ثلاثاً عند هطول الأمطار بغزارة كبيرة، وصارت الصهاريج اليوم معلماً تاريخياً تشمل أكثر من مرفق لحفظ الماء، وأنشئت فيها حديقة صارت متنزها لأهل مينة عدن، كما أصبحت معلماً سياحياً يحرص الزوار والسياح من خارج عدن واليمن على زيارتها حين قدومهم للمدينة. انظر: عبد الله أحمد محيرز، "صهاريج عدن"، الموسوعة اليمنية، ج٢، م.س، ص٥٨٨، ٥٨٩.

٢٢٧ العيدروس، م.س، ص١٣٨، ١٣٩؛ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٢٣.

٢٢٨ ابن حميد، م.س، ص٢٠٩، ٢١٠.

٢٢٩ ابن الديبع، الفضل المزيد...، م.س، ص٣١٠.

٢٣٠ ابن فيروز، م.س، ق٢، ٣٢.

٢٣١ العيدروس، م.س، ص، ص٨٥، ٨٧.

٢٣٢ ابن الديبع، الفضل...، م.س، ص٣٥٠؛ العيدروس، م.س، ص٩٩، ١٥٢.

٢٣٣ الموزعي، م.س، ص٨٣-٨٤.

قائمة المصادر والمراجع(الببليوغرافيا):

المصادر المخطوطة:

- ابن فيروز، أحمد بن يوسف، مطالع النيران في تاريخ اليمن، مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية، دار الكتب، القاهرة، تحت رقم١٦٧.
- الكوكباني، الحسن بن عبد الرحمن، المواهب السنية مما من الله من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية، ج١، مخطوطة محفوظة بدار المخطوطات، الجامع الكبير، صنعاء، تحت رقم ٢٦٢٦.

المصادر المطبوعة:

- الأصطخري، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١م.
- بهران، محمد بن يحيى، ابتسام البرق، شرح القصص الحق في سيرة خير الخلق، تحقيق يحي عبد الكريم الفضيل، دار الكتب، صنعاء، ط١، ١٩٧٤م.
- الحجري، محمد أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج١، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط٢، ١٩٩٦م.
- ابن حميد، سالم، تاريخ حضرموت، المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ج١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩١م.
- الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، ج١٠، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٦م.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط١، ١٩٨٣م.
- الرازي، أبو العباس أحمد بن عبد الله، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، د.م، صنعاء، ط٢، ١٩٨١م.
- باسنجلة، عبد الله أحمد، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٧م.
- الشلي، جمال الدين أبي علوي محمد، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.
- الشهاري، جمال الدين علي بن عبد الله، وصف صنعاء، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط١، ١٩٩٣م.
- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- العيدروس، عبد القادر بن شيخ، النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق أحمد حالو، محمود الأرناؤوط؛ أكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م
- ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج٢، تحقيق سعيد عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، ١٩٨٦م.

● الكبسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق خالد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٦٤.

● ابن لطف الله، عيسى، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م.

● بامخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،ج١، دراسة وتحقيق عبد الغني علي الأهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٢م.

● بامخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب، النسبة إلى المواضع والبلدان،ج١، تحقيق مركز الوثائق والبحوث، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٤م.

● المعبري، زين الدين بن عبد العزيز، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق أمين توفيق الطيبي، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١، ١٩٨٧م.

● المفضل، جمال الدين بن محمد، السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية، نشرت بعناية عبد الملك محمد الطيب، باكستان، ط١، ١٩٩٨م.

● الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل، الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل آل عثمان، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد، صنعاء، د.ط، د.ت.

● النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد، البرق اليماني في الفتح العثماني، تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر، تحقيق حمد الجاسر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٢٠.

● الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م.

المراجـــع:

● أباظة، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٦م.

● البزاز، محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ١٨، ط١، ١٩٩٢م.

● بيضاني، إيمان محمد عوض، صنعاء في كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين في القرن الهجري الرابع، دار الثقافة العربية، الشارقة، ط١، ٢٠٠١م.

● بيومي، طارق عبد المعطي، سياسة مصر في البحر الأحمر، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٩م، ص٢٢.

● بطي، أحمد محمد عبيد، الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، د.م، دبي، ط١، ١٩٩١م.

- بلايفير، أف. أل، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد النوبان؛ علي باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م.
- الحبيشي، حسين علي، اليمن والبحر الأحمر، الموضع والموقع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- جرادات، وليد جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٩٨٦م.
- جمعة، علي، المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.
- الجوهي، خالد حسن، إمارة آل بن بريك في الشحر، دار الوفاق، عدن، ط١، ٢٠١٠م.
- الحداد، عبد الله عبد السلام، صنعاء، تاريخها ومنازلها الأثرية، الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
- الحداد، عبد الله عبد السلام، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.
- الحداد، محمد يحيى، التاريخ العام لليمن، ج٤، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- الحضرمي، عبد الرحمن، نظرات في التاريخ العام لليمن، مركز عبادي، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م.
- حمدان، خميس، الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- أبو داهش، عبد الله بن محمد، أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.
- الدويكات، قاسم، جغرافية الوطن العربي، د.م، د.ط، ١٩٩٨م.
- الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م.
- زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، أئمة اليمن، ج١، مطبعة النصر، تعز، ط١، ١٩٥٢م.
- سالم، سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن(١٥٣٨-١٦٣٥م)، دار الأمين، القاهرة، ط٥، ١٩٩٩م.
- السبيطلي، محمد، الصراع الدولي في البحر الأحمر، الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث، دار الشوكاني، صنعاء، ط١، ١٩٩٨م.
- الشامي، فؤاد عبد الوهاب، تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات(١١٤١-١٢٦٤هـ/١٧٢٧-١٨٤٨م)، مع تحقيق مخطوطة نفح العود في أيام الشريف حمود، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٧-٣٠.
- الشرجبي، عادل مجاهد، المحددات الاجتماعية للنمو السكاني في اليمن دراسة سسيو تاريخية، مركز التدريب والدراسات السكانية؛ صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية، صنعاء، نوفمبر ٢٠٠١م.
- شهاب، قصي كامل، أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٤م.

- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.
- طاهر، علوي عبد الله، عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار، من عهد الزريعيين إلى عهد الاشتراكيين، دار جامعة عدن، ط١،١٩٩٧م.
- العمري، حسين عبد الله، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(٩٢٢_١٣٣٦هـ/١٥١٦_١٩١٨م)، من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحي حميد الدين، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- العمري، حسين عبد الله، الحضارة الإسلامية في اليمن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم-إيسيسكو، الرباط، د.ط، ١٩٩٣م.
- فخري، أحمد، اليمن ماضيها وحاضرها، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الفرح، محمد حسين، اليمن في تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط١، ٢٠٠١م.
- القصاب، عبد الوهاب عبد الستار، المحيط الهندي وتأثيره في السياسات الدولية والإقليمية، بيت الحكمة، بغداد، د.ط، ٢٠٠٠م.
- المجاهد، محمد أحمد، مدينة تعز غصن نظير في دوحة التاريخ، د.م، ط١، ١٩٩٧م.
- محمد، آمال إبراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحمر، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٣م.
- الهيصمي، خديجة، سياسة اليمن في البحر الأحمر، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م.
- الوجيه، عبد السلام، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م.
- وزارة الثقافة والسياحة، مهرجان إب السياحي السنوي الثاني، مجلس الترويج السياحي، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.
- باوزير، خالد سالم، موانئ ساحل حضرموت، دار المعرفة، حضرموت، ط١، ١٩٩٦م.
- الوسي، حسين بن علي، اليمن الكبرى، ج١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩١م.

المقالات والدوريات:

- آغا، شاهر جمال، "أسباب زلازل اليمن ونظرة تحليلية لزلزالي ذمار والعرين"، مجلة كلية الآداب، صنعاء، العدد ١٥، ١٩٩٣م، ص١٢٧-١٣٨.
- الأكوع، إسماعيل بن علي، "زبيد مدينة العلم، والقول الفصل في تاريخ ظهورها"، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العدد٢٨، ٢٠٠٤م، ص١٩٣-١٩٨.
- بيضاني، إيمان محمد، "عدن في مصنفات ابن المجاور وابن بطوطة"، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، العدد ٢٣، ٢٠٠٦م، ص٦٩-١١٦.
- توشرر، ميشيل، "المخلاف السليماني"، ترجمة علي محمد زيد، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد٣٢، ١٩٩٨م، ص٦٤-١٥١. ص٧٢-١١٢.

- جمال، م .م، " الغش والتزييف في العملة وعقوباتها في التاريخ العربي الإسلامي"، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، جامعة ديالى، العدد الخامس والعشرين، ٢٠٠٧، ص١-١٩.
- الحضرمي، عبد الرحمن، "لمحة تاريخية لمدينة زبيد"، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد٤٨، ١٩٩٢م، ص٣٨٣-٣٩٧.
- الحضرمي، عبد الرحمن، " مدينة زبيد في التاريخ"، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العدد الأول، ١٩٨٠م، ص٩٦-١٠٥.
- حميدي، فتحي سالم، "وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ١٢، العدد٤، ٢٠١٣، ص٤٥٥-٤٧٦.
- الديري، زياد، "صنعاء القديمة، معالمها التاريخية وفنها المعماري الأصيل"، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد١٤، ١٩٩٣م، ص٧٧-٩٦.
- روجرز، هيلين، "صنعاء مدينة الحصون"، ترجمة زيد محمد حجر، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد٤٨، ١٩٩٢م، ص٣٧٧-٣٨١.
- السروري، محمد عبده، "نشأة مدينة زبيد في اليمن"، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، العدد٢٨، ٢٠٠٤م، ص١٩٠-١٩٢.
- شهاب، حسن صالح، عدن فرضة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م.
- عامر، محمود، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، العددان ١١٧، ١١٨، يونيو ٢٠١٢م، ص٣٥٦-٣٨١.
- عبد الله، يوسف محمد، "تعز"، الموسوعة اليمنية، ج١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٤٠-٢٤٢.
- ابن عقيل، محمد، "حضرموت"، ضمن: حضرموت، فصول في التاريخ والثقافة والثروة، جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير الثقافية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص١٩-٣٦.
- العمري، حسين عبد الله، عبد الله، يوسف محمد، "صنعاء"، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م ، ج٢، ص٥٨٣-٥٨٨.
- العمري، حسين عبد الله، "حركة التجديد والإصلاح في اليمن في العصر الحديث"، الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، العدد٩، ١٩٩٠م، ص١٧٥-١٩٤.
- بافقيه، محمد عبد القادر، "حضرموت"، الموسوعة اليمنية، ج١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م ،ص٤٠٥-٤١٠.
- لابروس، هنري، "البرتغاليون والفرنسيون في اليمن والبحر الأحمر مطلع العصور الحديثة"، ترجمة حسين أحمد الورد، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العدد ٢٤، ٢٠٠١م، ص١٤٧-١٧٧.

- محيرز، عبد الله أحمد، "عدن"، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط١، ١٩٩٢م، ص٦٤١-٦٤٤.
- محيرز، عبد الله أحمد، "صهاريج عدن"، الموسوعة اليمنية، ج٢، م.س، ص٥٨٨، ٥٨٩.
- المقحفي، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، د.ط، ١٩٨٨م.
- الملعسي، حسين سعيد، "تاريخ تطور النشاط التجاري الحر لميناء عدن للفترة١٨٥٠-١٩٦٧م"، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدن، العدد٥، ٢٠٠٠م، ص١٣٧-١٤١.
- ناجي، سلطان، "عدن عبر التاريخ"، الإكليل، م.س، العدد٢، ٣، ١٩٨٣م، ص١٨٣-٢٠٣.

الرسائل الجامعية:

- الأشول، محمد فيصل عبد العزيز، الإمام شرف الدين ودوره السياسي في اليمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.
- بامخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،ج١، دراسة وتحقيق عبد الغني علي الأهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٢م، ص٧٦١.
- المخلافي، عبد القوي، الإمام المطهر بن شرف الدين ودوره السياسي في تاريخ اليمن(٩٢٤-٩٨٠هـ/١٥١٨-١٥٧٢م)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٥م.
- المداح، أميرة علي، المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٥م.

المراجع الأجنبية:

J.R . BlACKBURN"AL_ Mutahar", Encyclopédi de l'Isl am, Tome VII, E.J. Brill, Leiden, 1993, p.763.